

٦٩
المجلد

ISSN 2347-2456

شعارنا الوحدى إلى الإسلام مرجع جديد



البَحْرُ الْإِسْلَامِيُّ

مجلة إسلامية شهرية جامعة

العدد الثالث - المجلد التاسع والستون - شعبان ١٤٤٤هـ - مارس ٢٠٢٣م

- الإسلام الصادق دافع عن كل بلاء نازل ؟ (افتتاحية العدد)
- أوريا وخصاقها في إسعاد الإنسان
- القرآن الكريم واقتراحات النصارى
- بين النعماء والضراء في القرآن
- الإيمان وأماراته الثلاث في ضوء الكتاب والسنة
- من جوانب التربية المحمدية لهذه الأمة المجيدة
- الاستنساخ من منظور إسلامي
- منهاج ابن جرير الطبراني في الاستدلال بالشاهد الشعري
- شعيرة الصوم لدى الديانات المختلفة : اختلاف في التقاليد والتقاء في المعاني
- كتاب الآثار للإمام أبي يوسف رحمه الله : نصحة نظامية للعالم الإسلامي
- مريم جميلة (مرجريت ماركوس) الباحثة عن الحقيقة
- إنَّ فِي ذَلِكَ لَعْبَرَةً لِمَنْ يَخْشَى

تصدرها : مؤسسة الصحافة والنشر، ص-ب. ٩٣، لكناو. الهند

If undelivered please return to:

Al Baas El Islami, Majlis Sahafat wa Nashriyat , Nadwatul Ulama Campus, Tagore Marg,
Post box no.93 Lucknow-226007 Uttar Pradesh, India.
Email: info@albasulislami.com Website: www.albasulislami.com



شَعَارُنَا الْوَحِيدُ إِلَى الْإِسْلَامِ مِنْ جَدِيدٍ



البَاعِثُ لِلْهُدَى

مجلة إسلامية شهرية جامعة

March 2023

مارس ٢٠٢٣ م

العدد الثالث - المجلد التاسع والستون - شعبان ١٤٤٤ هـ - مارس ٢٠٢٣

ندوة العلماء

تأسست ندوة العلماء ودارالعلوم التابعة لها على مبدأ التوسط والاعتدال، والجمع بين القديم الصالح والجديد النافع، وبين الدين الخالد الذي لا يتغير، والعلم الذي يتغير ويتطور ويقدم ، وبين طوائف أهل السنة التي لا تختلف في العقيدة والمنصوص، وقامت من أول يومها على الإيمان بأن العلوم الإسلامية علوم حية نامية ، وأن منهاج الدراسة خاضع لناموس التغير والتجدد ، فيجب أن يتناوله الإصلاح والتجديد في كل عصر ومصر ، وأن يزداد فيه ، ويُحذف منه بحسب تطورات العصر، وحاجات المسلمين وأحوالهم .
الإمام العلامة الشيخ أبوالحسن على الحسني الندوبي (رحمه الله)

أنشأها

فقيد الدعوة الإسلامية
الأستاذ محمد الحسني رحمه الله تعالى
في عام: ١٣٧٥ هـ - ١٩٥٥ م

المشرف العام

العلامة السيد

محمد الرابع الحسني الندوبي

رئيس التحرير

سعید الأعظمي الندوی

مدير التحرير

محمد فرمان الندوی

مساعد التحرير المسئول عن المكتب

محمد عبد الله المخدومي الندوبي

المراسلات



مؤسسة الصحافة والنشر

ص.ب. ٩٣. لكتاؤ (الهند)

AL-BAAS-EL-ISLAMI

MAJLIS - E - SAHAFAT -WA- NASHRIYAT P. O. BOX: 93 Tagore Marg,

Lucknow. Pin:226007 U. P. (India) Mob: 9889336348, 8400476826

Email: albaas1955@gmail.com , info@albasulislami.com

محتويات العدد

العدد الثالث – المجلد التاسع والستون – شعبان ١٤٤٤هـ – مارس ٢٠٢٣م

❖ الافتتاحية :

٥ سعيد الأعظمي الندوبي الإسلام الصادق دافع عن كل بلاء نازل ١

❖ التوجيه الإسلامي :

٩ الإمام الشیخ السید أبي الحسن علی الحسني الندوی أوربا و إخفاقها في إسعاد الإنسان

١٢ سماحة الشیخ السید محمد الرابع الحسني الندوی القرآن الكريم و افتراضات النصارى

١٨ الأستاذ عبد الباقی يوسف بين النعماء والضراء في القرآن

❖ الدعوة الإسلامية :

٢١ الشيخ الحافظ محمد عمران خان الندوی الأزهري رحمة الله الإيمان وأماراته الثلاث في ضوء الكتاب والسنة

٢٤ الأستاذ عبد الوالی بن محمد ظاهر الأصول العملية للتعليم والتربية

٢٩ الشيخ الطاھر بدوي من جوانب التربية المحمدية لهذه الأمة المجيدة

❖ الفقه الإسلامي :

٤٤ د. خورشید أشرف إقبال الندوی الاستئناف من منظور إسلامي

❖ دراسات وابحاث :

٤٩ الأستاذ عبد القادر أحمد عبد الله الحمزى مناهج ابن حجر الطبرى في الاستدلال بالشواهد الشعرية

٥٨ الأستاذ علاء الدين محمد الهوى فوتزمي شعرية الصوم لدى الديانات المختلفة : اختلاف في التقاليد والتقاء في المعاني

٦٨ د. محمود حافظ عبد الرحيم مرتضا توسيق الحكم رائد الفن المسرحي في الأدب العربي الحديث

٧٤ د. سعيد بن مخاشن كتاب الآثار للإمام أبي يوسف رحمة الله : نفحة نظامية للعالم الإسلامي

٨٠ الأخ بلاط أحمد بفتحي المحسنات اللفظية في الأدعية القرآنية

٨٥ الأخ محمد عبد الواحد المستشرقون الألمان وتحقيق المخطوطات العربية والإسلامية

❖ رجال من التاريخ :

٩٤ الدكتور غريب جمعة مریم جميلة (مرجیت مارکوس) الباحثة عن الحقيقة

❖ صور وأوضاع :

٩٧ محمد فرمان الندوی إنَّ فِي ذَلِكَ لَعْبَةً لِمَن يُخْشِي

❖ إلى رحمة الله تعالى :

١٠١ قلم التحرير ١. الشيخ عبد الغنى الأزهري إلى رحمة الله تعالى

١٠١ " " " ٢. الشيخ أبو البيان حماد العمري في ذمة الله تعالى

١٠٢ " " " ٣. الشيخ محمد أنیس الرحمن القاسمی إلى رحمة الله تعالى

١٠٣ " " " ٤. كريمة العالمة المحدث محمد زکریا الکاندھلوی إلى رحمة الله تعالى

الإسلام الصادق دافع عن كل بلاء نازل !

عمر الله سبحانه وتعالى هذه الأرض من أول يومها بخلق من أحسن تقويم ، وسماه الإنسان ، وأكرمه على جميع أنواع المخلوقات عقلاً وشكلاً وفهمًا وذكاءً ، وقد يسر له أن يستخدم جميع هذه التميزات الإنسانية في الإيمان بالخالق العظيم والعيش في صالح الأعمال ، ومن ثم أكرمه بالأجر العظيم والمثوبة الكاملة بإزاء الأعمال والإيمان والتودد إلى الله الخالق العظيم ، ثم ثبت بكل وضوح أن الله تعالى أحکم الحاكمين ، وأن الأعمال المرضية - وإن كانت صغيرة الحجم - لا تذهب سدى في أي زمان ومكان .

لقد حملت إلينا الأنبياء العالمية نبأ زلزال مفاجئة ذات شدة وعنة في كثير من أجزاء العالم البشري المعور بالإنسان ، ومراركز العمل والإيمان من أول التاريخ البشري ، وقد كانت جزءاً من أجزاء العالم الإسلامي ، وكان أهلها المسلمون لهم تاريخ مشرق في جميع المجالات البشرية وفي العلم والصناعة ، والابتكار في كل ناحية من نواحي الحياة الدينية والمدنية ، والخير والنصح ، فكان هذا التاريخ لا يكتمل إلا بذكر تلك الجوانب العملية والصناعية .

إننا نقرأ اليوم في الجرائد اليومية بمختلف لغاتها ، أن بلاد تركيا وسوريا زلزلت فيهما الأرض وتهدمت آثارها القديمة والجديدة في لمحات واحدة ، وذلك في الجزء الأخير من الليل ، حينما كان أهلها الساكنون في حالة نیام قبل بزوغ الفجر ، وكانت اللمحات تتقضى بسرعة هائلة لتسفر عن الفجر وبعده بالصبح ، وقد تهدمت البيوت والمنازل التي كانت عامرة بأهلها وسكانها في ذلك الوقت ، ولذلك

بلغ عدد ضحايا هذه الزلزال إلى ما لا يأتي عليه الحصر ، وقد بلغ عدد الم Hankin فيها إلى الآن خمسة وعشرين ألفاً ممن أخرجوا من الركام ، ولكن عدد الآخرين من الخفايا والموتى الذين لم يتيسر إخراجهم من الركام كثير ، لم يطلع عليه الناس العاملون في إخراج ما يختفي في هذه المهدمات من الناس والممتاع .

لا يمكن المسجلين عن شدة الحادث أن يقدروا عدد أولئك الضحايا الذين لم يمكن الاطلاع عليهم رغم استمرارية البحث عنهم ، ولا غرو فإنه لم يكن حادث زلزال فقط ، بل كان مع ذلك عقاباً للذين لا يفكرون في مستقبلهم ومستقبل حياتهم ، وحياة وأعمال من خلقهم الله تعالى لأداء ضريبة الحياة الإنسانية التي أشار الله سبحانه وتعالى إليها في كتابه الخالد العظيم ، فقال : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّنْ ذَرَّةٍ وَأَنْشَأَنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارُفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْقَاصَكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَيْمٌ خَبِيرٌ) .

لا يخفى على أهل البصر وال بصيرة أن موجة الأمراض والحوادث لا تجد لها طريقة إلا بعد ما يقدر الله تعالى مناسبات عديدة للامتناع عن المعاصي والعودة إلى الحقيقة التي أودعها الله سبحانه وتعالى في المجتمعات الإنسانية ، وأنزلها الله تعالى بغایة من الوضوح مرةً بعد أخرى ، وبين ما يجب على الإنسان نحو ربه تبارك وتعالى وما حرم عليه من المعاصي والذنوب ، سواءً كانت بادية أو خافية ، ونأخذ لذلك مثلاً للإنسان المسلم الذي أعلن بإسلامه وانضم إلى صفوف المسلمين في أعمالهم التي يثاب عليها ، والتي تكون محمرةً ومقربةً إلى المعاصي التي لن يرضها في أي حال ولا في مكان .
طالما يعيش الإنسان في عزة وهناء بال ، ولا يتوهم أن هناك مصيبةً كبرى تفاجئه من غير مهلة وتستحوذ عليه وهو في سعادة

وغمى وفي غفلة عنها فإذا بها تكون ضجيئه في أقل من لمحه واحدة ، وتحول كل سعادة وتنعم شقاءً ونقمـة ، فقد شهد التاريخ أمثلـة كثيرةً مثل هذه الأحوال والظروف في مجتمعات بشرية ، وهذه المفاجأة اليوم ليست إلا جزءاً من تاريخنا البشري الحديث ، حيث إن بناءـات شامخـة وقصورـاً عاليـة وقعت فريـسة الـزلـزال الشـدـيد الذي لا يوجد له نظير في التاريخ القـرـيب ، رغم أنـ الـبـلـادـينـ تـرـكـيـاـ وـسـوـرـيـاـ تـعـتـبرـانـ بـلـادـ الـمـسـلـمـينـ وـحـدـهـمـ ، وـتـعـتـبرـانـ مـنـ التـارـيخـ الـقـدـيمـ مـنـ أـمـثالـ مـرـاكـزـ الـمـسـلـمـينـ الـذـيـنـ مـثـلـواـ نـمـاذـجـ عـالـيـةـ فيـ التـارـيخـ إـسـلـامـيـ ، وـقـدـ قـيـلـ : إنـ عـدـدـ الـضـحـاـيـاـ الـمـعـلـومـ فيـ هـذـاـ الـزـلـزالـ بـلـغـتـ الـآنـ ٢٥ـ أـلـفـ إـنـسـانـ فـقـطـ ، وـلـاـ يـزـالـ يـتـزاـيدـ هـذـاـ العـدـدـ مـعـ مـرـورـ الزـمـانـ بـالـأـعـمـالـ الـبـحـثـيـةـ وـبـتـصـفـيـةـ أـرـكـامـ الـمـهـدـمـاتـ مـنـ الـبـيـوتـ الـعـامـرـةـ ، وـالـسـاـكـنـةـ بـأـهـلـهـاـ ، وـلـاـ تـزـالـ عـلـيـهـ الـتـصـفـيـةـ وـالـبـحـثـ عـنـ الـأـسـرـ السـاـكـنـةـ فيـ الـمـدـمـرـاتـ الـمـنـزـلـيـةـ فيـ اـسـتـمـرـارـيـةـ مـسـتـمـرـةـ .

وقد جاءت في خلال هذه التدميرات أن أسرـاـ إـسـلـامـيـةـ والـمـشـتـغـلـيـنـ بـقـرـاءـةـ الـقـرـآنـ وـجـمـاعـةـ الـمـخـلـصـيـنـ مـنـ أـبـنـاءـ إـسـلـامـ مـمـنـ كـانـواـ مـقـبـلـيـنـ عـلـىـ عـبـادـةـ اللـهـ تـعـالـىـ فيـ ذـلـكـ الـوقـتـ كـعـادـتـهـمـ الـمـسـتـمـرـةـ ، إـنـماـ حـفـظـهـمـ اللـهـ تـعـالـىـ وـنـجـاـهـمـ وـأـهـلـهـمـ مـنـ سـوـءـةـ هـذـهـ الـمـصـيـبـةـ الـكـبـيرـةـ ، وـلـاـ شـكـ فـإـنـ ذـلـكـ فـضـلـ اللـهـ يـؤـتـيهـ مـنـ يـشـاءـ وـالـلـهـ ذـوـ الـفـضـلـ الـعـظـيمـ .
يـجـبـ عـلـيـنـاـ فيـ كـلـ قـطـعـةـ مـنـ الـأـرـضـ مـعـرـفـةـ أـنـ اللـهـ سـبـحـانـهـ يـطـلـعـ فيـ كـلـ حـينـ عـلـىـ جـمـيعـ مـاـ يـنـجـزـ مـنـ أـشـكـالـ وـأـعـمـالـ فيـ أـيـ مـنـطـقـةـ أـوـ بـلـدـ أـوـ بـيـتـ ، أـوـ مـرـكـزـ دـعـارـةـ وـفـسـوـقـ ، وـلـكـنـهـ تـعـالـىـ يـقـدـرـ الـوقـتـ الـمـنـاسـبـ لـإـنـزـالـ الـعـقـابـ عـلـىـ كـلـ ذـلـكـ ، وـهـوـ يـرـىـ بـأـمـ عـيـنـهـ مـاـ يـبـاشـرـهـ إـلـيـهـ سـوـاءـ كـانـ مـسـلـمـاـ أـوـ غـيـرـهـ ، وـيـتـرـبـصـ الـوقـتـ الـمـنـاسـبـ لـلـتـبـيـهـ أـوـ التـدـمـيرـ .

لم تكن البلدان الإسلامية التي عُرفت بعلوّ مكانتها وكثرة العلم والعلماء فيها ، مجھولةً لدى المؤرخين الإسلاميين ، فكانوا يعتبرونها مراكز العلوّ والغلبة لل المسلمين ، وكانت منها مراكز لعبادة الله تعالى والالتجاء إليه بطريق عبادة كبرى من الطواف والسعي والرمي ثم أداء حج بيت الله تعالى وأداء أركانه التي قرّها الله تعالى وعمل بها رسولنا العظيم صلى الله عليه وسلم .

من هنا كان يعود علينا أن لا ننسى أن أوامر الله تعالى لا يملكونها إلا هو وحده ، وليس للإنسان أو غيره أيّ دخل أو تجاوز من النقص أو الزيادة ، وليس له أن يعيّن وقتاً أو مكاناً في إنجاز قدرته أو إرادته ، بل الواقع الذي يصله بربيه تبارك وتعالى هو أن يصوغ حياته ، وجميع أعماله - مهما كانت - في قالب العبادة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

فذلك وحده المقياس الأول الصحيح الذي تبناء جميع عباد الله الصالحين من الأنبياء وورثتهم العلماء المخلصين المؤمنين الكاملين .

ولقد رأى المسلمون المخلصون الصادقون بأم أعينهم كيف عاش المسلمون الصادقون ممن كانوا مشغولين بذكر الله تعالى وقراءة كتابه العظيم بالهدوء والطمأنينة كأنهم في حياتهم العادية ولم يحدث لهم شيء .

كل ذلك نتيجة لحب الله ورسوله وتلاوة القرآن والعزم الصادق بالعمل بما أنزل الله تعالى عن طريق خاتم النبيين محمد صلى الله عليه وسلم ، وبدينه القيم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، تزيل من حكيم حميد .

سعيد الأعظمي الندوى

١٤٤٤/٧/٢١

٢٠٢٣/٢/١٣

أوروبا وأخفاقيها في إسعاد الإنسان

بعلم الإمام الشیخ السید أبي الحسن علی الحسني الندوی رحمة الله

ادعى علماء الغرب أنَّ المجتمع الإنساني المتmodern يمكن ، لا بل يجب أن يقوم على غير أساس الإيمان ، وتعاليم الأديان ، والقيم الخلقية ، والرسالات السماوية . إنَّه يستطيع أن يقوم على أساس العلم والتنظيم . والصناعة والاقتصاد ، والوعي السياسي ، والقومية ، والوطنية ، والاتفاقيات ، والتعهدات الاجتماعية الدستورية ، وإن المجتمع يسعد ويتعرف بالوسائل والآلات التي تمنحها علوم الطبيعة والكيمياء ، وتسخير الكون والطبيعة لصالح الإنسان ورغباته وطموحه ، وتذليل العقبات التي كانت نتيجة الجهل للعلوم الكونية والطاقة البشرية ، وإن سر شقاء الإنسان في العصر الماضي صعبوبة التعارف ، والتفاهم بين أعضاء الأسرة الإنسانية في أنحاء الأرض ، وفي مختلف القرارات والأقاليم .

لقد ألح الغرب على هذا المعنى ، وتحمس له تحمس المؤمنين الجدد ، وكان هتافه " لا إله ، ولا دين ، ولا غيْر ، ولا إيمان ، ولا روح ، ولا أخلاق ، ولا آخرة " ، إنما هو حسن وتجربة ، أولذة أو منفعة ، أو قومية وطنية ، أو غريزة وعاطفة ، أو ديموقراطية ، أو جمهورية ، أو اشتراكية وشيوعية ، ويرز في الميدان أممَة هذه الفلسفات ، وأبطال هذه الدعوات . وتلاميذهم ، ومعارضوهم على اختلاف فلسفاتهم ونزعاتهم ، وكثرة مذاهبهم ، وتوزعوا العالم الغربي ، وخضع لهم كل شيء ، وازدهرت مدارسهم مدة طويلة ، ولا تزال تسيطر على العقول ، والأدب ، ومراكز السياسة ، ودور الاختبار ، والمجتمع الأوروبي المعاصر قد اقتبس من هؤلاء ، وتأثر بمعجموهم في قليل أو كثير ، وأمن بالقدر المشتركة بينهم ، وهو " المادية " .

منحت أوروبا فرصة لتحقيق هذه المبادئ التي آمنت بها في سخاء وحرية لا نظير لها في تاريخ الحضارات ، وهي أطول فرصة مع أعظم مقدار من الآلات ، والوسائل ، والتسهيلات : التي تمنح القيادات في التاريخ على يد عمالقة نوابغ عبقريين في العلم والاختبار ، والتنظيم والإدارة ، وليس على وجه الأرض قيادة تعارض هذه القيادة ، أو دولة

قوية تعرقل سيرها ، وقد وضعت الكنيسة النصرانية أوزارها قدیماً أمام طموح أوربا المادي والفكري ، والنھضة العقلية الوثابة ، التي لا قبل لها بها ، وخضع الشرق الإسلامي لغزوتها السياسية ، والفكرية في القرن التاسع عشر المسيحي ، وخلالها الجو ، ودان لها العالم بشرقه وغربيه ، شماله وجنوبه .

لقد أمكن أوربا المادية أن تبرز جميع مواهيبها ، وأن تمثل "المادية" على المسرح العالمي في جو مليئ بالهتاف ، والتصفيق ، والتأييد ، والتصديق ، فإذا كان مسرحية في العالم أن تنجح كان ذلك لهذه المسرحية التي يمثلها أربع رجال في أوفق أحوال .

ولكن ماذا كان ؟ أخفقت هذه المسرحية التي كانت حصيلةً أذكى عقول بشرية ، وأغنى قرایح إنسانية في أهدافها ومراميها إخفاقاً لم يعرفه التاريخ .

عداء داخلي ، وخارجي ، صراع بين الأفراد والطبقات ، والشعوب ، غيوم الحرب الكثيفة التي تغشى العالم كله ، وبركان متهدئ للانفجار الأدنى مناسبة ، ونذر صارخة لنهاية البشر الأليمة ، وفقدان الثورة والمهدوء والأمن العاطفي ، وسلط الذعر والفزع على الأعصاب ، وقلق دائم ، وتفسخ خلقي كبير يختطف القياس ، وفراغ روحي هائل لا يملؤه شيء ، وسامة لا نهاية لها ، ولا علاج ، وتشاؤم ويسار وحيرة .

إن قصة إخفاق الحضارة الغربية قصة معادة مكررة ، ولكنها قصة يجب أن تُروى ، وتُتلى ، وتنُعاد ، وتُكرر ، وهي قصة تهم الإنسان في كل مكان ، وتنصل به ، وبحياته من أقرب طريق ، ولأن في الشرق من لا يزال يؤمن بعصمة هذه الحضارة وقدسها ، ولا يصدق أن مثلها يحقق ويُحيي ، أو أنها قد أفلست في معنياتها ، وهو يراها تبرهن على وجودها وقوتها في الشرق والغرب .

لقد جرب العالم الإسلامي هذه الحضارة ، واكتوى بنارها ، وعاش فيها زمناً طويلاً ، وشاهد إخفاقها ، وتهيؤها للانهيار في كل مكان ، شاهد ذلك في أخلاق الساسة وقوتهم ، وموت العاطفة الإنسانية في قلوبهم ، وفي أخلاق الشعب ، ورخص قيمة الأعراض في عينه ، وهدر الكرامة الإنسانية ، وضياع القيم الخلقية ، وفساد الجنسيات والسفالات في المجتمع ، وعجز قادة الفكر والسياسة عن إيجاد رسالة إنسانية تنفع روحًا جديدة في المجتمع ، وتسوق الأمم نحو هدف واحد ،

وتجمع شملها ، وعن ملء الفراغ الروحي ، وعن إعادة الهدوء والسلام ، والثقة بالإنسان ومستقبله ، إلى غير ذلك مما يُسمّ به هذا المجتمع الراقي ؛ الذي بلغ أوج الحضارة ، والتنظيم ، والوعي .

يتجلّى لكل من يشاهد هذه الآثار أنَّ كل مجتمع لا يقوم على أساس الإيمان إنما هو مجتمع يقوم على شفا جرف هار ، لا بد له أن ينهار ، وإن طال أمده ، واسع سلطانه ، ولا سبيل إلى "الإيمان" إلا دعوة الأنبياء والرسل وسيرتهم ، الذين يملؤون الأمم الواسعة والجماهير الكثيرة بالروح الخلقية ، وقوة الإيمان ، والإنسانية السامية التي ليس فوقها إلا الصفات الإلهية ، ويشعلون قلوب الملايين – من غير مدارس ، وجامعات ، ومجتمع علمية ، ووسائل للنشر والتأثير – إيماناً وحماسة وゾهدًا في المطامع والزخارف ، وقوة مقاومة للشهوات ، وإيثاراً للأخرة على الآجلة ، وإيثاراً لغيرهم على نفوسهم ، وحباً لله ، الذي لا يرون به عيوبهم ، ولا تتناوله حواسهم ، والتلفاني في رضاه ، وهذه سيرتهم ، وكتب التاريخ تحكي عنهم وعن اتباعهم كل غريب ، وكل معجب ، ولو لا التواتر ، ولو لا الآثار لسارعت النقوس إلى تكذيبه ، والشك فيه ، وهم الذين أنقذوا البقية الباقية من الحضارة والمجتمع البشري من رسيل الهمجية والفوضى والوحوش مرات عديدة ، وحفظوا السفينة البشرية من الغرق في آخر لحظة . وفيها التراث الحضاري وكل ما شاده البشر فيآلاف السنين ، وصانوا القيم الخلقية والمفاهيم الصالحة من الضياع والتلف إلى آخر الأبد ، ومدوا في أجل السلالة البشرية ، ومنحوها – بجهادهم الطويل وإخلاصهم العميق – حق البقاء وجدرة الحياة .

ومن المقرر المشاهد ؛ الذي لا شك فيه أن هذه الأديان – التي أسعدت الإنسانية في أزماتها ومحنها المختلفة ، وفضلها لا ينسى في تاريخ المدينة – قد فقدت قوتها وحياتها مع امتداد الزمن وطوارق الحدثان ، وأصبحت فتيلة قد نفذ زيتها ، أو كحبوب عصرت إلى آخر قطرة ، فهي لا تسمن ، ولا تغني من جوع ، وهي ليست من القوة والحياة بمكان تستطيع فيه أن تقاوم هذه المدينة القوية ، وإغراءاتها الجارفة ، وليس في الذين لا يزالون يدينون بها ويحملون أسماءها ثقة بهذه الأديان ، وصلاحها لكل زمان ومكان ، وحماسة لدعوة إليها والجهاد في سبيلها ، ولمواجهة المدينة العصرية وتحدياتها ، وجلهم أو كلهم قد وضع أوزاره أمام المادية الغربية . واعتزل المعترك ، وأمن بأنَّ "المادية" لا مفر منها ، وأنها مصير الإنسانية المحتم .

الإسلام هو الدين :

إن هنالك ديناً لا يزال في حياته ، وأصالته ، ونقائه ، ولا يزال أهله يعتقدون أنهم مأمورون بتبيّن الرسالة ، وإنقاذ المدنية ، والحسبة على الإنسانية ، ومسؤولون أمام الله ، وأمام الخلق عن اتجاهات هذا العالم ، ويمتازون بين أهل الأديان بأربع ميزات بارزة :

أولها : وجود هذا الكتاب العظيم المتدايق بالحياة ، الكفيل بسعادة البشرية وتوجيهها ، يحمل أعظم علم وأعمقه بين دفتيه ، ويملك أعمق تأثير في القلوب والعقول ، وهو ثروة البشرية العظمى ، والمعين الذي لا ينضب ، والمدد الذي لا ينفد ، قد أحدث أعظم ثورة في تاريخ البشرية ، ويستطيع إذا أطلق له العنان ، وحُكم في قيادة الإنسان أن يحدث أعظم ثورة أخرى .

الميزة الثانية : هذه السيرة النبوية العطرة التي هي أجمل صورة على الإطلاق في مجموع الصور البشرية الفنية ، وأعظم صفحة مشرقة في تاريخ البشر ، تعيد إلى الإنسانية كرامتها ، ومكانتها ، وتعيد الثقة والاعتزاز في نفس الإيمان بأشرفية النوع الإنساني ، الصورة التي لا يملك أمامها الإنسان – إذا لم يفقد حس الجمال وحب الكمال – إلا أن يفتخر بأنه من نوعه ، ومنبني جنسه ، ويتمنى أن يتسامي بتقلیده للصورة التي يجد فيها كل إنسان قوة وسکينة ، وأسوة ، وقدوة ، وحياة ، وتوجيهها ، وجوانب مشرقة تفتح منافذ جديدة ، وتشير معانٍ جديدة ، وهذه الصورة لا تزال بملامحها وسماتها الأصلية لم تطوها يد الزمان .

الميزة الثالثة : وجود الشريعة الإسلامية كما تركها صاحب الرسالة محفوظة في أصلها وأساسها ، غنية في ثروتها الفقهية ، صلبة مرنّة لا تتنازل عن القديم ، ولا تتجهم للجديد ، لا تخجل من ماضيها ، ولا تفر من حاضرها ، تالدة خالدة ، صالحة لكل عصر وبيئة ، تعطي الأسس الحكيمية التي يقوم عليها مجتمع جديد ، وحضارة صالحة .

الميزة الرابعة : وجود العاطفة الدينية القوية في المسلمين على علاتهم ، ومواضع الضعف فيهم ، وانقيادهم للدعوة الدينية ، وخصوصهم لها إذا وجد الدعاة المخلصون ، وهذه قوة فقدها وأفلس فيها عامة الأمم الغربية ، وهي قوة لا يعرف قيمتها إلا من اشتغل بالدعوة والتجديد الديني في أمّة من الأمم ، ومن رأى إخفاق هؤلاء الدعاة في إعادة الحياة الدينية والروح الدينية في هذه الأمم^١ .

^١ انظر كتاب العلامة الندوى " حدث مع الغرب " . ص ٥٧ - ٦٣ .

القرآن الكريم وافتراط النصارى

سماحة الشيخ السيد محمد الرابع الحسني الندوى

تعریب : محمد فرمان الندوی

(الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عَوْجَاً . قَيْمَا لَيْنِدَرَ بَأْسَا شَدِيداً مِنْ لَدُنْهُ وَيُشَرِّعُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا . مَّا كَنِينَ فِيهِ أَبْدًا . وَيُنْدَرُ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا . مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لَآبَائِهِمْ كَبِيرَتْ كَلْمَةٌ تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذَبًا . فَلَعْلَكَ بَاخْعُ نَفْسَكَ عَلَىٰ آثَارِهِمْ إِنَّ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثَ أَسْقَاهُ) (الكهف : ٦ - ١) .

بدأ الله تعالى هذه السورة بحمده ، وهو أجر بالثناء والحمد ، فإنه أنزل كتاباً هو كلامه ، وكرم الإنسان ونعمه ، بحيث منحه هذا الكلام ، ولم تكن السماوات والأرض والجبال تتتحمل هذا الكلام ، قال تعالى : (لَوْأَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَرَأَيْتُهُ خَاسِعاً مُتَصَدِّعًا مِنْ حَشْيَةِ اللَّهِ) (الحشر : ٢١) ، لكن كان فضل الله على الإنسان بأنه جعل القرآن سهلاً ، ولم يجعل فيه عوجاً ، فجميع آياته قيمة وسهلة ، يستطيع الإنسان أن يفهم معانيها ، وهي صحيحة وموافقة للواقع ، ولا يحتاج الإنسان إلى كثير من الخوض والتأمل فيها ، لكن كلام الإنسان يخيل إليه أنه صحيح أو خطأ ، ويشك فيه رجل آخر ويرتاب ، لكن كلام الله بريء من هذا وذاك ، والله أقوى وأكبر من كل شيء ، وأقدر على كل ما يعلمه الإنسان ، فهو يستعمل قوته أحياناً ضد المجرمين ، فليتفكر عباده في هذا الشأن .

يبشر القرآن أولئك الذين يعملون الصالحات ، وقد أخبر الله تعالى عباده بأنهم إذا عملوا عملاً صالحًا أعطوا جزاءً حسناً ، وهذا الأجر ليس موقتاً ، بل يدوم إلى ما شاء الله ، وينعم أصحابه بجنة النعيم .

غاية المعجزات الإلهية :

إذا حدث أمر خارق للعادة من الله تعالى سُمي معجزةً ، وقد أكرم

الأنبياء الكرام بالمعجزات ، فكانت معجزة عيسى عليه السلام أنه إذا مسح بيده مريضاً أصبح المريض بريئاً من المرض ، وأصبح الأعمى بصيراً ، ولم يكن ذلك بالأدوية والمعالجة بها ، لكن وقع ذلك خرقاً للنظام ، فكان معجزة من الله تعالى ، ويعطي الله الأنبياء هذه المعجزات ليستيقن الناس بكلام الأنبياء ، ويؤمنوا بدعوتهم ، لأن الأنبياء قدموا أمام الناس شيئاً كان خلافاً للعادة ، وخارجاً عن قدرة الإنسان .

جعل الله تعالى القرآن معجزة ، وهو كلام لا مثيل له في العالم ، كان في العرب شعراء كبار ، كانوا يعتزون بشعرهم ، وينطقون بكلمة لا يتكلم بمثلها أحد ، لكن لما اطاعوا على القرآن دُهشوا وتحيروا منه ، ولم يقل أحد منهم : إنني أتحداه وأحاكي أسلوبه ، رغم أن القرآن تحداهم علينا وجهاراً بقوله : فأتوا بمثله إن كنتم صادقين . وبالنظر إلى هذا قال الله تعالى في بداية هذه السورة : الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً ، قيماً ، وذلك ليعلم الإنسان أن نظام العالم بيده الله تعالى ، وهو الذي يدبر أمره ، ليس معنى ذلك أن الله خلق العالم ، ثم وكله إلى أحد ، بل هو يراقب كل وقت نظام العالم ، وهو يسير حسب مشيئته ، ويقدر الله على تغييره أيضاً .

فصاحة العرب وأسلوب القرآن المعجز :

كان العرب أكثر تطوراً في اللغة العربية ، وأكبر علمًا بدقائقها ، وكانوا يتذوقون بالكلام العربي ، فأنزل الله عليهم كتاباً أرفع شأنًا في اللغة والفصاحة والبلاغة ، بحيث اضطروا إلى أن يقولوا بأنفسهم : ما هذا قول البشر ، وهذه سنة الله في باب المعجزات أن القوم إذا كانوا ماهرين في فن أنزل الله معجزة وفقاً لهذا الفن ، لئلا يقول القوم : إنه لا يمكن ذلك ، وقد شاع الشعر والأدب العربي في العرب ، وكانوا يقدرون حق قدره ، والشيب الثاني الذي كان شائعاً في العرب هو الكهانة ، وكان الكاهنون يتكلمون بجمل مسجعة للإخبار بالغيب ، فاختار القرآن الكريم كلاماً أعلى قدرًا من هذين الصنفين ، فاختار العرب منه ،

وكان مذنبين في تسميته بالكهانة والسحر والشعر ، وقالوا : هذا الكلام أرفع من هذه الأقسام ، فلا نستطيع أن نأتي بمثله .

جعل الله تعالى القرآن آخر الكتب السماوية ، وسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم آخر النبيين ، وأنزل عليه آخر الشرائع الإلهية ، وقد بعث الأنبياء في كل قوم ، وجاءوا بشرائع مختلفة حسب أزمنتهم ، لكن الله أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم شريعةً كاملةً ، تسخير ركب الحياة الإنسانية ، وإن تغير الزمان وتبدل ، بل تقدم هذه الشريعة حلولاً ناجعةً للقضايا التي تأتي في المستقبل ، لأن العصر الذي يبدأ كان عصر العلم والمدنية ، وكان أساس سائر التطورات في هذا العصر على العلم والمعرفة ، فأكمل الله تعالى في هذه الشريعة على العلم ، وبدأ نزول أول وحي على محمد صلى الله عليه وسلم بالعلم ، قال تعالى : (أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ . حَقَّ إِلَيْنَا مِنْ عَقِيقَةٍ . أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ . الَّذِي عَلَمَ بِالْقُلْمَنِ . عَلَمَ إِلَيْنَا مَا لَمْ يَعْلَمْ) (العلق : ١ - ٥) .

غايات نزول القرآن :

من أهم غايات نزول القرآن في هذه السورة أن هذا القرآن يبشر المؤمنين ، الذين يعملون الصالحات ، ووعد الله بهم الأجر الحسن ، ويذوقون هذا الأجر دواماً لا ينتهي ، لا يمكن أن يتصور الإنسان في هذه الدنيا عن شيء أنه يبقى عنده إلى مدة ، ويستفيد منه ، لكن من حسنه الآخرة أن كل ما يكرمه به الإنسان في الجنة يخلد خلود الزمان ، ولا يخطر على باله خوف الموت .

الغاية الثانية لنزول القرآن في هذه السورة أن الله ينذر الذين اتخذوا لله ولداً ، وسيواجهون عذاباً شديداً في الآخرة ، كيف يعتبر هؤلاء لله عز وجل ولداً ، وما هو الأساس الذي يقوم عليه دعواهم ، ما لهم به من علم ، ولم يحدث أمر يتقولون بالنسبة إليه ، إن دعواهم على القياس والظن ، وقياسهم هو أنهم فرضوا لسيدنا عيسى عليه السلام أموراً خارقةً ، بانتمائهم إلى ابن الله ، رغم أن عيسى عليه السلام كان

نبياً من أنبياء الله وعباده المقربين إليه ، كذلك أفرط اليهود في شأن يعقوب عليه السلام ، واعتبروا سيدنا عزيزاً ابن الله تعالى ، رغم أن معنى المقرب والحبيب لا يسمح بأن يجعل ولداً لله ، فجميع الأنبياء هم عباد الله تعالى ، هو الذي خلقهم ، ورزقهم ، فلن يكونوا أبداً جزءاً من الله ، لذلك قال الله : ما لهم به من علم ولا آبائهم ، وليس لهم دليل على هذا ، هنا وقفة تأمل أن الله الذي خلق الكون ، وأعطى الإنسان كل ما سأله ، يسيئ الإنسان إليه إساءة ، فالله قادر على أن يهلك هذا المسيء في ثانية واحدة ، ويصيبه بأكبر مصيبة ، لكن هؤلاء المسيئين لا يخافون الله تعالى ، بل يتكلمون عنه بكلمات قبيحة نافرة .

الفرق بين العلم والظن :

نزلت الآية الرابعة في هذه السورة لإنذار الذين اتخذوا لله ولداً ، ثم قال تعالى : ما لهم به من علم ولا آبائهم ، إنهم يقولون هذا القول بالظن والتخمين ، فالعلم باللغة العربية هو الشيء الحقيقي ، وإذا لم يكن ذلك الشيء واقعاً ملماساً لا يكون علماً ، بل يكون ظناً ، فاستعمل القرآن هنا كلمة العلم ، معناه أن هؤلاء الناس وأباءهم كذلك ليس عندهم علم ، ولا أساس قوي ، بل يقولون كل ذلك بالخرص الظن ، ثم قال : كبرت كلمة تخرج من أفواههم ، إن يقولون إلا كذباً .

تسليمة قرآنية للنبي صلى الله عليه وسلم :

ثم قال الله مخاطباً سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم : فَعَلَّكَ بِأَنْجُونَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثَ أَسَفًا . أي أنه تشتعل بأمور الدعوة ونشر الإسلام كل وقت ، كأنك تهلك نفسك ، فلا حاجة إلى الهلع والإضراب من ضلال الناس ، بل كل ما يجري في هذا الكون كان مقرراً عند الله تعالى ، وهو يعلم : مَنْ الْمَهْدِيُّ وَمَنْ هُوَ الضَّالُّ عَنِ الْصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ ، لكنه أرسل رسولاً لئلا يكون على الناس حجة : ما جاءنا من بشير ولا نذير ، فبعث الله رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنزل معه القرآن ، فإذا لا يؤمن بعد ذلك أحد فقد أتم الله الحجة ، وبلغ الرسول الأمانة .

فُتُوحَّهُ هذِهِ الآيَةُ سَيِّدُنَا مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى أَنْ لَا يَجِزُّ نَحْوَ إِيمَانِ النَّاسِ ، وَلَا يَثْبُطْ هَمَتَهُ عَدْمُ إِيمَانِهِمْ ، فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ : مَا يَعْمَلُ النَّاسُ ؟ لَأَنَّهُ خَلَقَهُمْ ، وَأَكْرَمَهُمْ بِجَمِيعِ النَّعْمَ الظَّاهِرَةُ وَالْبَاطِنَةُ ، وَهُوَ خَبِيرٌ بِطَبَائِعِهِمْ وَفَطَرَهُمْ ، وَهُوَ خَلَقُ الطَّبَائِعُ الْلَّيِّنَةُ وَالشَّدِيدَةُ ، وَهُوَ مَطْلُعٌ عَلَى فَطَرَهُمْ ، وَهُوَ يَعْلَمُ مَاذَا سَيَكُونُ غَدًّا ، كَمَا يَعْلَمُ أَحَوَالَ الْمَاضِيِّ ، فَلَيْسَ الْمَاضِيُّ وَالْمُسْتَقْبَلُ عِنْدَ اللَّهِ مُنْفَصِلًا ، فَإِنَّهُ يَنْظُرُ الْمَاضِيَّ وَالْمُسْتَقْبَلَ مَعًا ، هُوَ يَعْلَمُ مَا لَا يَعْلَمُ الْإِنْسَانُ ، وَلَعْلَكُمْ تَفَهَّمُونَ هَذِهِ الْحَقْيَقَةَ بِالْمَثَلِ أَنَّكَ جَالِسٌ فِي غَرْفَةٍ ، وَلَيْسَ عِنْدَكَ عِلْمٌ بِمَا هُوَ خَارِجُ الْغَرْفَةِ ، إِنَّمَا دَخَلَ رَجُلًا الْغَرْفَةَ فَأَنْتَ تَعْرِفُ الرَّجُلَ الَّذِي دَخَلَ ، لَكِنَّ هَذَا الرَّجُلَ إِنَّمَا لَمْ يَدْخُلِ الْغَرْفَةَ ، فَلَا يَمْكُنُكَ أَنْ تَعْلَمَهُ ، لَكِنَّ الرَّجُلَ الَّذِي كَانَ خَارِجَ الْغَرْفَةِ ، يَعْلَمُ مَنْ دَخَلَ الْغَرْفَةَ وَمَنْ لَمْ يَدْخُلْ ، كَذَلِكَ جَعَلَ اللَّهُ الْمَاضِيَّ وَالْحَالَ وَالْمُسْتَقْبَلَ ، فَإِنَّ هَذِهِ الْأَزْمَنَةَ الْمُتَلِّذَةَ أَمَامَ اللَّهِ كَكِتَابٍ مُفْتَوِحٍ ، وَهُوَ يَعْرِفُ مَاذَا يَحْدُثُ وَمَا لَا يَحْدُثُ ، بِالنَّسْبَةِ إِلَى هَذَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى لَنَبِيِّهِ : لَا تَجُزُّ وَلَا تَضْطُرُّ ، وَلَا تَبْخُعْ نَفْسَكَ بِعَدْمِ إِيمَانِ الْمُشَرِّكِينَ ، فَإِنَّمَا لَمْ يَؤْمِنُوا بَعْدَ دُعَوتِكَ إِلَى اللَّهِ فَلَيْسَ عَلَيْكَ أَيْ مَسْؤُلِيَّةٍ .

لَا شَكَّ أَنَّ اللَّهَ رَحِيمٌ كَرِيمٌ ، لَا يَضُلُّ أَحَدًا بِعِلْمِهِ وَقُدرَتِهِ ، فَإِنَّمَا ضَلَّ وَانْحَرَفَ أَحَدًا كَانَ لَهُ وَجْهٌ ، يَمْنَعُ اللَّهُ عِبَادَهُ خَيَارًا إِلَى حدٍ ، وَلَمْ يَحْصُلْ هَذِهِ الْخَيَارَ لِلْحَيَّوَانَاتِ ، فَلَا يَمْكُنُ لِحَيَّوَانٍ أَنْ يَغْرِسَ غَرْسًا ، أَوْ يَزْرَعَ شَمْرًا ، أَوْ يَنْبُتَ عَشْبًا ، وَيَبْذُرَ بَذْرًا وَلَا يَحْفَرُ حَفْرَةً ، وَلَا يَجْرِي سَقِيَا مَاءً ، فَهُوَ عَاجِزٌ تَمَامًا ، فَإِنَّمَا وَجَدَ عَشْبًا أَكْلَهُ ، وَإِنَّمَا رَأَى بُرْكَةً شَرَبَ مِنْهُ المَاءَ ، لَكِنَّ اللَّهَ جَعَلَ الْإِنْسَانَ مَخْلُوقًا ، يَسْتَطِعُ أَنْ يَعْمَلَ مَا شَاءَ ، كَأَنَّ اللَّهَ مِنْحَ إِنْسَانًا قَدْرَةً وَخَيَارًا إِلَى حدٍ ، وَلَمْ يَكُرِمْ إِنْسَانًا بِهَذَا الْخَيَارِ إِلَّا لِيَعْلَمَ اللَّهُ أَنَّ إِنْسَانًا يَسْتَعْمِلُ فِي صَالِحِ الْإِنْسَانِيَّةِ أَوْ فِي أَضْرَارِهَا ، يَمْلِكُ إِنْسَانٌ قَدْرَةً ارْتِكَابِ الذَّنْوَنِ ، وَذَلِكَ لِيَعْلَمَ اللَّهُ أَنَّهُ يَجْتَبِ السَّيِّئَاتِ أَمْ لَا ، رَغْمَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمَ جَيْدًا : مَنْ هُوَ الْمَهْتَدِيُّ وَمَنْ هُوَ الضَّالُّ ، لَذَلِكَ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى لَنَبِيِّهِ : إِذَا كَانَ اللَّهُ يَعْلَمُ حَقْيَقَةَ إِنْسَانٍ ، وَهِيَ ثَابِتَةٌ عِنْهُ ، فَلَمَّا يَكُونَ قَلْقًا ؟

بين النعماء والضراء في القرآن

الأستاذ عبد الباقي يوسف*

يقول الله سبحانه وتعالى : (وَلَئِنْ أَذَقْنَا إِلَيْهِ ابْنَانَهُ رَحْمَةً ثُمَّ نَزَّعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَوْسُوسُ كُفُورٌ) (هود : ٩) .

الرحمة هنا ، هي كل نفع يتتحقق به الإنسان من عافية ، ومال ، عز ، ورخاء ، ونجاح . لذلك : (وَلَئِنْ أَذَقْنَا) . أي يتذوقها الإنسان ويستدل بها . فاعلم بأن كل نعمة ترفل بها ، هي رحمة من الله سبحانه وتعالى لك . ولو لا رحمة الله بك ، ما رفلت بكل هذه النعم . لماذا ؟ لأن عطاء الله هو أكبر مما تستحقه مهما تقدمت في درجات العبادة . وبظير ذلك ، فقد عفا عنك كثيرا ، وما كنت مستحقة العفو ، سترك كثيرا ، وما كنت مستحقة الستر ، أنجاك من مهالك كثيرة ، ما كنت مستحقة التجاة . وكل ذلك (رحمة) من الله بك . فتبهوك الآية الكريمة بأن تقدر هذه الرحمة الإلهية ، فإذا نزع عنك شيئا مما ترفل فيه ، تذكر بأنه هو الذي أذاقك إياه أول الأمر (رحمة) منه . أي زيادة عن استحقاقك مهما كنت عابدا . فتوكل أمرك لله وتقول : هو الذي أعطى ، وهو الذي نزع . والخير فيما يختار الله .

وفي طرف الآخر ، فإن الذي لا يتوكّل على الله : (إنَّهُ لَيَوْسُوسُ) . يُمسي فريسة للانفعالات وردود الأفعال . فجاءت الكلمة الأخيرة من الآية الكريمة باللغة الدقة ، وبالغة التبيه : (كُفُورٌ) . إذن : (إنَّهُ لَيَوْسُوسُ كُفُورٌ) .

الآن ، لتنظر إلى جمالية الآية الكريمة ، مظها وجوها : (وَلَئِنْ أَذَقْنَا إِلَيْهِ ابْنَانَهُ رَحْمَةً ثُمَّ نَزَّعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَوْسُوسُ كُفُورٌ) .

الكفر هو الإخفاء . فهنا لا يُظهر ما كان عليه من رخاء ، وينسى ذلك تماما ، فيصاب باليأس نتيجة طبيعية لکفره . في حين أنه لو أسلم أمره لله جلاله ، لما قربه يأس ، ولليت في أمل برحمه الله تعالى .

* أربيل - العراق ، abdalbakiuosf@gmail.com

فالليأس هنا هو فقدان الأمل برَحْمَةِ الله تعالى ، وهذا يؤدي بالإنسان إلى الكفر مهما كان واقفاً على تاريخٍ من العبادة . فهذا هو التّبّيُّه الشّدِيدُ والدّقيقُ من مغبة فسح المجال لليأس ، مهما تقلّب بك الأحوال ، فدوماً : (لَا تَذْرِي لَعْلَ اللَّهُ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أُمْراً) (الطلاق : ١) .

مراجعة الحسابات :

وهذا ما يجعل الإنسان يراجع حساباته ، فهل أساء استخدام النّعمة ، هل أمسك بيده عن الإنفاق في سبيل الله وكان مقتدرًا ، هل استهلك طاقتَه البدنية في المنحرفات ، هل تمادى من خلال مركز المسؤولية الذي أنعم به الله عليه ، هل قلت عبادته ، هل قل شكره لله ، هل قلت قراءته للقرآن نتيجة رغبة العيش الذي كان يتقلب فيه ، هل كانت الخطوات التي يخطوها في سبيل الله أقل من الخطوات التي كان يخطوها في معصية الله ، هل عيناه كانتا تتظران إلى الحرام أكثر مما كانتا تتظران إلى الحلال . فهنا يبلغ مرحلة إيمانية يدرك فيها بأن النّروع ذاته كان (رحمة) من الله تعالى ، له . فها هو النّزوع قد جعله ينتبه إلى ما لم يكن منتبهاً له ، يستيقظ على ما كان غافياً عنه . وهنا أمر بالغ الأهمية ، وهو أن الله قد خلق الإنسان مُتكملاً دون أن يتعرض لأي لون من الألوان المرض . فلو ليث مائة سنة لا يمكن لسین واحد من أسنانه مجرد أن يتحرك من موضعه ، لأن بديع السّموات والأرض الذي أعطى عمرًا على سبيل المثال لهذا الشخص مائة سنة ، فكيف يعطيه أسناناً لا تصلح سوى لثلاثين سنة مثلاً ، أو كليتين لا تصلحان سوى لأربعين سنة ، أو قلباً لا يؤدي وظيفته بشكل ممتاز سوى لخمسين سنة ، أو دمًا لا يصلح لاعتدال نسب الدّهون أو السُّكر أو الضّغط فيه سوى لستين سنة . وما إلى ذلك . فالإنسان الذي يعطيه الله عمرًا ، يعطيه عافية مُتكاملة وممتازة جداً لهذا العمر ، وإلا لا يكون قد خلقه في أحسن تقويم ، لأنه قد أعطاه عمرًا ، ولكن لم يعطه بدنًا يتاسب مع هذا العمر ، فهو بعد الخامسة والعشرين من عمره بدأ فريسة للأمراض بسبب أن هذا البدن غير صالح ، فمن ضغط الدم ، إلى أمراض السُّكر ، والدهون ، والشحوم ، والتّوبات القلبية ، وقلة النّظر ، وسقوط الأسنان ، وأمراض الخبيثة التي أتته نتيجة الوراثة ، مما ذنبه حتى يرث أمراضًا

خَيْثَةً ، وَبِالثَّالِي فَلَمْ يُعْطِهِ اللَّهُ جَسْمًا سَلِيمًا يَصْلُحُ لِلنَّعْمَرِ ، حِيثُ يُمضِي
 عُمَرَهُ مِنْ مَرَضٍ إِلَى مَرَضٍ ، وَيَعِيشُ عَلَى الْأَدْوِيَةِ وَالْمَسْكِنَاتِ .
 فَهَذَا كَلَهُ لَا وَجُودَ لَهُ قَطُّ ، بَلْ إِنَّ الْبَدْنَ سَلِيمٌ تَمَامًا وَصَالِحٌ تَمَامًا
 حَتَّى لَوْ عَاشَ إِلَّا نَاسُ الْأَفَسَنَةِ ، فَلَا يَقْرِبُهُ أَيِّ مَرَضٍ مَهْمَا كَانَ صَفِيرًا
 أَوْ كَبِيرًا ، وَدِوْرَتُهُ الدَّمْوِيَّةُ تَبْقَى سَلِيمَةً تَمَامًا ، وَأَسْنَانُهُ تَكُونُ سَلِيمَةً
 دُونَ أَنْ يَتَحَرَّكَ سَنٌ وَاحِدٌ لَوْ حَرْكَةٌ صَغِيرَةٌ مِنْ مَوْضِعِهِ ، وَكُلُّ عَضُوٍ فِيهِ
 يَبْقَى مُحَافِظًا عَلَى سَلامَتِهِ التَّامَّةِ دُونَ أَيِّ خَلَلٍ إِلْطَاقًا ، بَلْ حَتَّى لَا يُمْكِنُ
 أَنْ يَرَثَ أَيِّ مَرَضٍ مِنْ أَيِّ شَخْصٍ مَهْمَا كَانَ مُقْرَبًا مِنْهُ . لَكِنَّ الَّذِي
 يَحْصُلُ هُوَ أَنَّ إِلَّا نَاسًا يُقْحِمُ الْأَمْرَاضَ عَلَى نَفْسِهِ ، فَمَثَلًا يَأْكُلُ وَيَتَرُكُ
 بَقَايَا الطَّعَامِ بَيْنَ أَسْنَانِهِ ، وَمِنَ الطَّبِيعِيِّ أَنَّ قِطْعَةَ لَحْمٍ صَغِيرَةً أَيْنَمَا وَضَعَتْهَا
 فِي مَكَانٍ سَاخِنٍ ، مَعَ الْوَقْتِ تَفَسَّدُ ، وَبِالثَّالِي سَتَكُونُ مَكْرُوبَاتٍ تَتَخَرُّ
 فِي هَذِهِ الْأَسْنَانِ فَتَتَحَرَّكُ وَتَسَاقِطُ . وَإِذَا غَسَلَ أَسْنَانَكَ بِشَكْلِ جَيِّدٍ وَمَا
 تَرَكَتَ فِيهَا طَعَامًا ، لَنْ تَتَخَرُّ مَكْرُوبَاتٍ ، لَأَنَّهَا لَا تَكُونُ مَوْجُودَةً . ثُمَّ
 أَنْكَ إِذَا تَتَوَلَّتَ طَعَامًا فَاسِدًا أَوْ مُتَسخًا وَغَيْرَ نَظِيفٍ بِشَكْلِ جَيِّدٍ ،
 فَتُصَابُ مَعْدَتَكَ بِاضْطِرَابَاتٍ ، وَقَدْ تُصَابُ بِتَسْمِمٍ ، لَأَنَّكَ أَقْحَمْتَ هَذَا
 الطَّعَامَ غَيْرَ الْفَاسِدِ عَلَيْهَا ، وَلَوْلَا ذَلِكَ لَكَانَ الْأَمْرُ طَبِيعِيًّا . ثُمَّ أَنْكَ تُقْرِطُ
 فِي تَتَوَلَّ الطَّعَامَ دُونَ ضَابِطٍ ، وَلَا تُمارِسُ الرِّياضَةَ فَتُصَابُ بِالْتَّخَمَةِ ، وَمَا
 يَنْجُمُ عَنْ هَذِهِ التَّخَمَةِ مِنْ عَوَاقِبٍ صَحِيَّةٍ . مِنْ هُنَا فَحَتَّى الْأَمْرَاضُ الْوَرَاثِيَّةُ
 لَا يُمْكِنُ لَهَا أَنْ تَقْرِبَكَ إِلَّا إِذَا هِيَاتَ جَسِيدَكَ لَهَا وَجَعَلَتِ الْجَهَازَ الْمَنَاعِيَّ
 الْقَوِيِّ لَدِيكَ ضَعِيفًا ، مِثْلَ أَنْكَ تُرْهَقُ بَدْنَكَ فِي الْعَمَلِ ، أَوْ تَسْتَهَلُكَ طَاقَتَكَ
 فِي بَعْضِ الْانْحرَافَاتِ ، أَوْ تَتَفَعَّلُ . فَعِنْدَمَا تَصْرُخُ وَتَتَحدَّثُ بِصَوْتٍ مَرْتَقِعٍ ،
 تَتَحَشِّرُ نِبرَاتُ صَوْتِكَ ، وَلَكِنَّ عِنْدَمَا تَتَحدَّثُ بِهَدْوٍ يَبْقَى صَوْتُكَ
 مُحَافِظًا عَلَى طَبِيعَتِهِ . وَعَلَى هَذَا النَّحوِ يُقْحِمُ الْأَمْرَاضُ عَلَى نَفْسِكَ : (وَإِذَا
 أَذْفَنَ النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةً بِمَا قَدَّمْتُ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ)
 الرَّوْمَ : ٣٦ .

فَدُومًا أَنْتَ تُقْدِمُ السَّيِّئَةَ لِنَفْسِكَ . لَكِنْ رَغْمَ ذَلِكَ فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ
 يُنْقَذُكَ مِنْ هَذِهِ السَّيِّئَةِ ، وَيُنْجِيَكَ مِنْ هَذِهِ الْكَارِثَةِ الَّتِي أَحْقَتَهَا بِنَفْسِكَ ،
 فَيَجْعَلُكَ مَرَّةً أُخْرَى وَاقِفًا عَلَى قَدَمَيْكَ . بَلْ وُفُقَ كُلُّ هَذَا يُؤْجِرُكَ عَلَى
 مُعَانَاتِكَ مِنْ هَذَا الْأَذِى الَّذِى سَبَبَتُهُ لِنَفْسِكَ . عَنْ أَبِى هَرِيرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

عن النبي صلى الله عليه وسلم : " ما يُصِيبُ الْمُسْلِمَ ، مِنْ نَصَبٍ وَلَا وَصَبٍ ،
وَلَا هُمْ وَلَا حُزْنٌ وَلَا أَذًى وَلَا غُمٌ ، حَتَّى الشَّوْكَةَ يُشَاكِهَا ، إِلَّا كُفَرَ اللَّهُ
بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ " ^١ . رَغْمَ أَنْ هُوَ الَّذِي تُسْبِبُ فِي هَذِهِ الشَّوْكَةَ نَتْيَاجَةً خَطَا
مِنْهُ ، فَلَوْ كَانَ عَلَى حَدَّرِ مَا أَصَابَتْهُ الشَّوْكَةَ ، أَيْ لَيْسَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ
وَتَعَالَى هُوَ الَّذِي جَعَلَهُ يُشَاكِ بِهَا الشَّوْكَةَ ، بَلْ هُوَ الَّذِي أَخْطَأَ حَتَّى
شَاكَتْهُ الشَّوْكَةُ . وَهَذَا قِيَاسٌ عَلَى كُلِّ أَذى يُمْكِنُ أَنْ تُسْبِبَهُ لِنَفْسِكَ
نَتْيَاجَةً أَخْطَاءٍ تَبَدُّرُ مِنْكَ .

عقاب الظالم :

لَكُنْ هُنَاكَ أَمْرًا خَرِي في هَذِهِ الْمَسَأَةِ ، وَهُوَ الْعِقَابُ الَّذِي يُوقِعُهُ
اللَّهُ فِي الدُّنْيَا عَلَى الْإِنْسَانِ الظَّالِمِ . فَمَعْلُومٌ أَنَّ الْإِنْسَانَ الظَّالِمَ لَا يَمُوتُ قَبْلَ
أَنْ يَلْقَى عِقَابَهُ فِي الدُّنْيَا قَبْلَ الْآخِرَةِ ، وَيَنْتَهِي نِهايَةً مُشَيَّنةً بِذُلٍّ . وَهَذَا
يَحْصُلُ بِشَكْلٍ فَرْدِيٍّ ، وَكَذَلِكَ بِشَكْلٍ جَمَاعِيٍّ مِثْلًا حَصَلَ مَعَ أَقْوَامٍ
ظَالِمَةً كَثِيرَةً وَرَدَتْ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ ، كَمَا وَرَدَتْ الْوَانُ هَذَا الْعِقَابُ
الَّذِي تَلَقَّوهُ نَتْيَاجَةً إِصْرَارَهُمْ عَلَى الظَّلَمِ : (فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًاً وَمِنْهُمْ
مَنْ أَخْذَنَاهُ الصَّيْحَةَ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمُهُمْ
وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ) (العنكبوت : ٤٠) .

(فَأَمَّا ثُمُودُ فَأَهْلَكُوا بِالْطَّاغِيَةِ . وَأَمَّا عَادُ فَأَهْلَكُوا بِرِيعِ صَرْصَرِ عَاتِيَةِ .
سَخَرُوهَا عَلَيْهِمْ سَعْيَ لِيَالَّا وَثَمَانِيَّةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمُ فِيهَا صَرَعَى كَانُوكُمْ أَعْجَابًا
تَخْلُ خَاوِيَةً . فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ . وَجَاءَ فَرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَاتُ بِالْخَاطِئَةِ
فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخْذَهُمْ أَحْذَنَهُ رَأْيَةً) (الحاقة : ٥ - ١٠) .

لَكُنْ هَذَا الْعِقَابُ الَّذِي يَكُونُ قَاصِيًّا لَا يَأْتِي بِشَكْلٍ سَرِيعٍ لِدِي
مُمَارِسَةِ الظَّلَمِ ، بَلْ يَكُونُ هُنَاكَ تَمَهِيدًا حَتَّى يَتَرَاجَعَ مَنْ يَرَاجِعُ عَنْ ظَلَمِهِ ،
وَلَا يَبْقَى سِيَّئَاتُ أَهْلِ الْعِنَامِ الشَّدِيدِ كَقُولِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَنْ فَرْعَوْنِ وَمَكَائِهِ :
(فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطَّوفَانَ وَالْحَرَادَ وَالْقَمَلَ وَالضَّفَادَعَ وَاللَّدَمَ آيَاتٍ مُعَصَّلَاتٍ فَاسْتَكَبُرُوا
وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ) (الأعراف : ١٣٣) . وَهَذَا يُمْكِنُ أَنْ تَقِيسَهُ بِشَكْلٍ
فَرْدِيٍّ وَبِشَكْلٍ جَمَاعِيٍّ فِي كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ .

وَيُسْتَجِدُ أَمْرًا خَرِي في هَذِهِ الْمَسَأَةِ وَهُوَ الْاِبْتِلَاءُ ، فَمَعْلُومٌ أَنَّ الْاِبْتِلَاءَ
هُوَ لَيْسَ عِقَابًا ، مِنَ اللَّهِ ، بَلْ امْتَحَانًا : (وَلَيَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ

^١ صحيح البخاري .

وَنَفْسٌ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَيَشَّرُ الصَّابِرِينَ) (البقرة : ١٥٥) .
والابتلاء هو بشاره محبة من الله لـإنسان المبتلى . عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم : " إِنَّ عَظَمَ الْجَزَاءَ مَعَ عَظَمِ الْبَلَاءِ ، وَإِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ ، فَمَنْ رَضِيَ فِلَهُ الرُّضْنَى ، وَمَنْ سُخْطَ فِلَهُ السُّخْنُ " ^١ . وَيُمْكِنُ التَّمْيِيزُ بَيْنَ الْعَقَابِ ، وَبَيْنَ الْابْتِلَاءِ ، وَبَيْنَ الْأَذْى الَّذِي تُسَبِّبُهُ لِنَفْسِكَ .

فالظالم يعلم جيداً بأئمه ظالم ، كما يعلم الناس بأئمه ظالم ، ولذلك عندما تشتدّ علىه أمور ، فتكون بمثابة الإنذار بوقوع الضربة المهلكة إذا استمر في ظلمه ، ولم يتغط . والإنسان هنا يمكن أن ينتفع كثيراً من هذا الإنذار ، فيراجع نفسه ، ويرثبع ، ويصلح . لأنّه يدرك بأن الضربة القاصمة في الصّميم أصبحت وشيكة في حال عناده واستمراره في الطغيان .

ولكن أيضاً يمكن أن يتجاهل الإنذار ، ويستمر في طغيانه ، وهذا لابدّ بأي حال من الأحوال من تلقّي الضربة القاصمة في الصّميم والانتهاء نهايةً مُشينةً ، وقد حصل ذلك مع كثير من الحكام الطغاة ، وفق مُختلف مستويات الحكم ، مثل : حُكْم دُولَة ، أو حُكْم مَدِينَة ، أو حُكْم مِنْطَقَة ، أو حُكْم مُؤسَّسَة ، أو حُكْم وظيفة في هذه المؤسسة ، أو حتّى حُكْم إِنْسَانٍ لِعائِلَتِه .

الابتلاء :

فعليك أن تكون عادلاً حتّى لو كنت حانوتياً ، لأنّ الحانوتية العادل يُعزّه الله ، والحانوتية الجائر يذله الله ، ولا يُستوي الحانوتية الجائع بالحانوتية العادل ، لا عند الله ، ولا عند الناس . فدوماً عندما تبيع شيئاً تذكر : هل سينتفع المشتري بهذا الشيء ويدعو لك بال توفيق ، أو يتآذى به ويدعو عليك بعدم التوفيق . فاعلم بأنّ شخصاً يدعوه له الناس بال توفيق ، ليس شخص يدعوه عليه الناس بعدم التوفيق عند الله .

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم : " كان رجلاً يداين الناس ، فكان يقول لفتاً : إذا أتيت مُعْسِراً فتجاوز عنه ، لعلَّ

^١ رواه الترمذى .

اللهَ أَنْ يَتَجَوَّزَ عَنَّا ، فَلَقِيَ اللَّهَ ، فَتَجَوَّزَ عَنْهُ^١ .

والابتلاءُ هنا مُختلفٌ تماماً ، فهو محبةٌ منَ الله ، وهذا الشخص يكونُ حبيباً لله عزوجل ، فيمتحنه في بعض تقلبات الحياة ، فيزدادُ هذا الشخص المحظوظ معرفةً لله أكثر ، بحيث يعرفُ أشياءً لم يكن يعرفُها ، وهكذا يقوى إيمانه أكثر ، فلا يتذمر ، ولا يسئ ، بل يصبر ويحتمل وينتظر الفرج . فلا شيء يُظهرُ معادن الناس الحقيقية بقدر الشدائدين ، وحقيقة الإنسان تتجلّى عندما يُصبحُ في شدةٍ . أحياناً تأسفُ على شخصٍ تحولَ أمامكَ من شخص إيجابي إلى شخص سلبيٍّ عندَ وقوع أزمةٍ عليه ، فتقولُ : ما كانَ هكذا ، ولكنَّ الأزمةَ غيرَته . والحقيقة هو كانَ هكذا ، ولكنَّ الأزمةَ هي التي أفصحتَ عنِ معدنه الحقيقى . وأحياناً تتعجبُ لشخصٍ تحولَ أمامكَ من شخص سلبيٍّ إلى شخص إيجابيٍّ عندَ وقوع أزمةٍ عليه . فتقولُ : ما كانَ هكذا ، ولكنَّ الأزمةَ غيرَته . والحقيقة هو كانَ هكذا ، ولكنَّ الأزمةَ هي التي أفصحتَ عنِ معدنه الحقيقى .

تبقي مسألةً أنكَ تلحقُ الأذى بنفسِك ، وهذا يتبيّنُ لكَ مثلَ ذلكَ لا تغتسلُ بشكلٍ جيدٍ فتظهرُ نتوءاتٍ على جسدك ، ويمكنُ أن تتحولَ إلى أمراضٍ جلديةٍ ، أو تعرّضُ نفسكَ لبردٍ شديدٍ ، أو لحرٍ شديدٍ ، أو تقرطُ في الطعام ، أو تقرطُ في السهر ، أو ترهقُ بدنكَ في العمل ، أو تحملُ أشياءً فوق طاقتِكَ فتشابُّ بعض الفتوّق ، أو بعضُ أمراض الفقرات ، أو تُجهدُ أعصابِكَ بتفكيكِ لا طائلٍ منه ، أو تُدمِّنُ المُخدّرات أو الكحول ، أو تُهمِّلُ نظافةَ فمِكَ ، أو تُهمِّلُ صحةَ عينيكَ وتُجهدُهُما بالقراءة ، أو باستِخدام الأجهزة الإلكترونية ، بشكلٍ سلبيٍّ ، مثل استِخدامها في موضعٍ غيرِ مُضاءٍ ، وهي تُسلط الإشعاعاتَ إلى عينيكَ ، أو تجعلها قريبةً جداً من عينيكَ ، فكما أنكَ تُمضي أوقاتاً طويلةً وأنتَ تنظرُ عن قربٍ إلى هذه الأجهزة ، أو عند القراءة ، كذلكَ بينَ حينٍ وآخرٍ شريحٍ عينيكَ ، فتخرجُ إلى طبيعةٍ حتى تُمدُّ نظراتِكَ إلى الطبيعة ، فهذا يجعلُ اعتماداً مع كثرةِ النّظر إلى الأشياءِ القريبة ، وأيضاً حتى إذا خرجمتَ إلى الشارع قد لا تتمكنُ من النّظر إلى أشياءٍ بعيدةٍ بسببِ كثرةِ الأبنية المتلاصقة مع

^١ صحيح البخاري .

بعضها البعض . فعليك أن تذهب إلى فسحةٍ تتظر فيها إلى الطبيعة ، وكذلك إلى أشياء بعيدةٍ ليمتد نظرُك . فقد أعطاك الله أعضاء سليمة ، لكن عليك أن تصوّنها وتهتم بها حتى لا تعطب . وتنظيم الوقت هام للغاية هنا ، فتوزع ٢٤ ساعة بانتظام . فكذا ساعة للنوم ، وكذا ساعة للعمل ، وكذا وقت للترفيه ، وكذا وقت لوسائل التواصل الاجتماعي ، وكذا وقت للرياضة ، وكذا وقت للقراءة .

عن عائشة رضي الله عنها : (دخل أبو بكر وعندِي جاريتان من جواري الأنصار تغنينان بما تقاولت الأنصار يوم بعاث ، قالت : وليسا بمعنانيْن ، فقال أبو بكر : أمرا مير الشيطان في بيته رسول الله صلى الله عليه وسلم ! وذلِك في يوم عيد ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا أبا بكر إن لكل قوم عيداً وهذا عيدنا) ^١ .

عن حنظلة قال : (كثا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فوعظنا ، فذكر النار ، قال : ثم جئت إلى البيت فضاحكت الصبيان ولاعبت المرأة ، قال : فخرجت فلقيت أبا بكر فدكرت ذلك له ، فقال : وأنا قد فعلت مثل ما تذكر ، فلقينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت : يا رسول الله ! تافق حنظلة . فقال : " مه " . فحدثته بالحديث ، فقال أبو بكر : وأنا قد فعلت مثل ما فعل . فقال : " يا حنظلة ! ساعة وساعة ، ولو كانت تكون قلوبكم كما تكون عند الذكر ، لصافحتكم الملائكة ، حتى تسلم عليكم في الطريق ") ^٢ .

فلا تترك شيئاً يأخذ من وقت شيء آخر ، ثم تأخذ استراحة في الأسبوع يوماً كاملاً ثمضيه مسترخيًا ومستمتعاً بالفراغ ، فهذا حملك يوم عطلك . ثم لو كانت إمكاناتك لا يأس بها يمكن أن تخرج مع عائلتك من المدينة التي تسكنها إلى مدينة أخرى ، أو إلى دولة أخرى لقضاء إجازة نحو عشرة أيام على الأقل في السنة مرة واحدة . ففي السفر فوائد جمة بدنية ونفسية ، فتعود نشيطاً ومتجدداً إلى عملك .

فرح فخور :

ثم يقول سبحانه وتعالى في الآية التالية : (ولكن أذفناه نعماء بعد ضراء

^١ صحيح البخاري .

^٢ صحيح مسلم .

مَسْتَهُ لِيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرَحٌ فَخُورٌ) (هُودٌ : ١٠).
في الآية السابقة : (وَلَئِنْ أَذْفَنَا إِلَيْهِ رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَؤُوسُ كَفُورٌ) . وفي هذه الآية : (وَلَئِنْ أَذْفَنَا نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسْتَهُ لِيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرَحٌ فَخُورٌ) .

فَهُنَاكَ تَشْمَلُ الرَّحْمَةُ كُلَّ مَا أَنْعَمَ بِهِ اللَّهُ عَلَى إِلَيْهِ ، سَوَاءَ أَكَانَ ظَاهِرًا ، أَمْ خَافِيَا . فَأَحْيَانًا يَنْزَعُ اللَّهُ نِعْمَةً مِنَ الْإِنْسَانِ ، وَهُوَ لَمْ يَكُنْ يَعْلَمُ بِهَا ، وَلَكِنْ عِنْدَمَا نَزَعْتُ مِنْهُ ، عَلِمَ بِهَا : (وَأَسْبَغْ عَلَيْكُمْ نِعْمَةً ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً) (لَقَمَانٌ : ٢٠) .

جَاءَ فِي الآيَةِ الْكَرِيمَةِ تَخْصِيصُ (نَعْمَاءَ) . وَالْكَلْمَةُ فِيهَا (مَاءُ) .
 وَالْمَاءُ يَكُونُ ظَاهِرًا عِنْدَمَا يَأْتِي مِنَ السَّمَاءِ ، أَوْ يَكُونُ فِي الْبَحْرِ ، أَوِ الْأَنْهَارِ ، وَمَا إِلَى ذَلِكَ . وَفِي الْكَلْمَةِ أَيْضًا (نَمَاءُ) . فَمَا يَنْمُو يَكُونُ ظَاهِرًا .

إِذْنُ : (نَعْمَاءَ) . أَيُّ النِّعْمَةُ الَّتِي يَظْهَرُ أثْرُهَا لِلْعَيَانِ ، مِثْلُ : بَيْتٌ بِالْغَصَامَةِ ، سِيَّارَةٌ ثَمِينَةٌ ، عَقَارَاتٌ أَوْ أَرَاضِ زَرَاعِيَّةٌ ، شَرِكَاتٌ ، وَمَا إِلَى ذَلِكَ مِمَّا لَا يَخْفِي . فَالنِّعْمَةُ تَكُونُ شَامِلَةً مَا ظَهَرَ وَمَا خَفِي . فِي حِينَ (نَعْمَاءَ) . تَخْصِصُ مَا ظَهَرَ .

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى شَائِهُ : (بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسْتَهُ) . كَذَلِكَ فَإِنْ (ضَرَّاءُ) ، ضَرَرُ بِائِنٍ يَتَضَرَّرُ بِهِ إِلَيْهِ . مِثْلُ : أَنَّهُ كَانَ فِي فَقْرٍ مُدْعَى ، أَوْ تَعَرَّضَ لِحَادِثٍ ، أَوْ أَلْمَ بِهِ دَاءٌ ، أَوْ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَجُدُ فَرْصَةً عَمَلٍ . وَالضَّرُرُ يَكُونُ شَامِلًا مَا ظَهَرَ وَمَا خَفِي ، لَكِنْ (ضَرَّاءُ) ، تَكُونُ لِمَا ظَهَرَ مِنَ الضَّرَرِ .
 (وَلَئِنْ أَذْفَنَا نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسْتَهُ) .

عِنْدَ (نَعْمَاءَ) . قَالَ : (أَذْفَنَاهُ) . لَأَنَّ إِلَيْهِ يَسْمَتُ بِالنِّعْمَةِ وَيَتَلَدَّدُ بِتَذَوُّقِهَا . وَعِنْدَ (ضَرَّاءَ) . قَالَ : (مَسْتَهُ) . وَلِيَسَ (مَسْتَهُ) ، كَمَا الْأَمْرُ بِالنِّسْبَةِ لِـ : (أَذْفَنَاهُ) . وَهُنَا بِيَانٍ بَأنَّ كُلَّ (نَعْمَاءَ) . تَكُونُ مِنَ اللَّهِ ، وَكُلَّ (ضَرَّاءَ) ، يُسَبِّبُهَا إِلَيْهِ لِنَفْسِهِ .

(مَسْتَهُ) . أَيُّ هِيَ : (مَسْتَهُ) . وَهُوَ الَّذِي جَعَلَهَا تَمَسْتَهُ ، مِثْلُ الَّذِي يَعْتَدِي عَلَى أَمْوَالِ ، أَوْ أَعْرَاضِ النَّاسِ فَيَلْقَى عِقَابًا سَوَاءَ مِنَ الْمُعْتَدِي عَلَيْهِمْ ، أَوْ مِنِ الْقَاتِلِينَ ، أَوْ لَا يَغْسِلُ أَسْنَاهُ ، فَتُعَاقِبَهُ أَسْنَاهُ ، أَوْ يَتَوَالَّ طَعَامًا فَاسِدًا ، فَتُعَاقِبَهُ مَعْدُتُهُ . وَلَذِكَ : (مَسْتَهُ) . فَكَمَا هُنَاكَ يَتَلَدَّدُ بِالنِّعْمَةِ

وهو يرفل في رغدتها ، هنا : يُعاني من مَسْ الضَّرَّ به ، وهو في تماسٍ مُباشرٍ معه . والمس هنا بمعنى الصعقة ، أي صَعْقَتُهُ الضَّرَّاءُ ، وغداً مصعوقاً بها .

هنا ، يُنجيه الله تعالى ذكره من هذه الصعقة التي صُعِقَ بها ، وليس هذا فحسب ، بل يقلب حاله تماماً من (ضرّاء) ، إلى (نعماء) . فإن كان يرزح تحت وطأة ألم المرض ، رفع عنه الألم وأنعم عليه بالعافية ، وإن كانت قد كسرت بعض عظامه ، يرفع عنه الألم ، ويُعيدها له كما كانت ، وإن كان فقيراً يرزح تحت وطأة الديون ، يُيسِّرُ لَهُ سَادَّ ما عليه ، وكذلك يجعله غنياً ، يحتاجه الناس . وإن كان في الهاشِّ ، جعل له شيئاً ، وإن كان يائساً ، بَثَ فيه الأمل ، وإن كان مُشرداً ، أواه ، وإن كان مُهدداً ، أمنه ، وإن كان مُضطرباً ، هدأه ، وإن كان فرعاً ، طمأنه ، وما إلى ذلك من (نعماء) الله على الإنسان (بعد ضرَّاءَ مَسْتَهُ) . سواء نتيجة أنه ظلم نفسه ، أو أن أحداً ظلمه . فالمُحَصَّلة : (أَذْفَنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضرَّاءَ مَسْتَهُ) .

لكن ما الذي قاله الإنسان الحاجد ، وقد حصل هذا الانقلاب الإيجابي الجميل في حياته ؟ : (لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي) . هكذا : (ذَهَبَ) . وليس : أذهب الله (السَّيِّئَاتُ عَنِّي) . كما لو أنه (ذَهَبَ) مصادفةً من تلقاء نفسه . والحقيقة أن الله سبحانه وتعالى قد أذهب عنه (السَّيِّئَاتُ) . وهي سيئات عواقب الضراء التي (مَسْتَهُ) . وهنا ذُكرت (السَّيِّئَاتُ) . وهي مؤتث ، جمع سيءة . وهذا له وجود في القرآن ، مثل : (فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتٌ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزَئُونَ) (النحل : ٣٤) . (وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتٌ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزَئُونَ) (الزمر : ٤٨) . (فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتٌ مَا كَسَبُوا وَالَّذِينَ ظَلَّمُوا مِنْ هُؤُلَاءِ سُيُّصِّبُهُمْ سَيِّئَاتٌ مَا كَسَبُوا وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ) (الزمر : ٥١) . (وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتٌ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزَئُونَ) (الجاثية : ٣٣) .

ونرى هنا حالة مشتركة واحدة ، وهي تكون (السَّيِّئَاتُ) فاعلاً ، فجعل القرآن الفاعل في الكلمة مذكراً وهي مؤتث . ولم يقتصر ذلك على هذه الكلمة فحسب ، بل شمل غيرها أيضاً مثل : (فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِّنْ رَّبِّهِ) (البقرة : ٢٧٥) . (وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ) (آل عمران : ٨٦) . (إِنَّ

رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ) (الْأَعْرَافُ : ٥٦). (وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ) (الشُّورى : ١٧).

والمُلْفِتُ هُنَا أَنَّكَ تَشْعُرُ بِقُوَّةِ بِلَاغِةِ الْقُرْآنِ حَتَّى عِنْدَ تَذْكِيرِ الْمُؤْتَثِ في سياقِ مَا ، يُلْبِي أَنَّكَ تَشْعُرُ بِرِكَاكَةِ فِيمَا لَوْأَتِ الْمُؤْتَثُ ، وَلِلنَّظَرِ إِلَى الرِّكَاكَةِ : (لَيَقُولُنَّ) ذَهَبَتْ (السَّيِّئَاتُ عَنِّي) . هَكُذا : ذَهَبَتْ (السَّيِّئَاتُ عَنِّي) . تَبَدُّلُ رَكِيْكَةٍ . فِي حِينَ تَكُونُ الْبِلَاغَةُ الْقَرَائِيَّةُ فِي : (لَيَقُولُنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي) .

لَكُنْ هَذَا لَا يَكُونُ قَاعِدَةً فِي الْقُرْآنِ ، فَالْمُذَكَّرُ مُذَكَّرٌ ، وَالْمُؤْتَثُ مُؤْتَثٌ . بَلْ أَحْيَا نَا ذَاتَ الْكَلْمَةِ الْمُؤْتَثَةَ ، يُؤَيْثِهَا فِي مَوْضِعٍ ، وَيُذَكِّرُهَا فِي مَوْضِعٍ آخَرَ ، مَثَلًا : (مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ) (الْبَقْرَةُ : ٢١٣) . وَفِي آلِ عُمَرَانَ : (وَجَاءُهُمُ الْبَيِّنَاتُ).

وَبِذَلِكَ يَبْقَى الْقُرْآنُ مُحَافِظًا عَلَى تُصُوعِ بِلَاغِتِهِ مُتَجَبِّاً أَيْ رِكَاكَةً .

(إِنَّهُ لَفَرَحٌ فَخُورٌ) . يَتَفَاخَرُ وَيَتَباهي فَرَحًا بِأَنَّ أَوْضَاعَهُ انْقَلَبَتْ رَأْسًا عَلَى عَقِبِ مِنَ الْضَّرَاءِ إِلَى التَّعْمَاءِ .

وَرَدَتْ فِي الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ ثَلَاثُ كَلْمَاتٍ أَسَاسِيَّةٍ : (نَعْمَاءُ) ، (ضَرَاءُ) ، (السَّيِّئَاتُ) . وَهِيَ بِمَثَابَةِ الْعَمُودِ الْفَقْرِيِّ لِهَا .

عِنْدَ (نَعْمَاءَ) ، جَاءَ : (أَذْفَنَاهُ) .

وَعِنْدَ (ضَرَاءَ) ، : (مَسَّهُ) .

وَعِنْدَ (السَّيِّئَاتُ) ، : (دَهَبَ) .

فَ : (نَعْمَاءُ) ، لَا يُمْكِنُ لَهَا بِأَيِّ حَالٍ مِّنَ الْأَحْوَالِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ بِرَحْمَةِ اللَّهِ ، تِكَامِلاً مَعَ سِيَاقِ الْآيَةِ السَّابِقَةِ : (وَلَئِنْ أَذْفَنَاهُ إِلَيْهِ مُبَاشِرَةً : (أَذْفَنَاهُ) . وَالْجَمْلَةُ بِالْفَلْسِفَةِ : (أَذْفَنَاهُ) . وَلِمَزِيدٍ مِّنَ الدِّقَّةِ عَلَى الدِّقَّةِ : (مَنَّا) . بِنَوْنَ الْعَظِيمَةِ . وَهَذِهِ عَنْيَةُ إِلَيْهِ مُبَاشِرَةً : (مَنَّا) . فَمَهْمَا كَانَتْ ظَرُوفُكَ مُتَوَاضِعَةً ، وَغَيْرَ مُؤَاتِيَّةً ، لَا بُدَّ لِهَا التَّحُولُ الْكَبِيرُ أَنْ يَحْصُلُ وَيَتَحَقَّقَ الْاِنْقِلَابُ الْإِيجَابِيُّ فِي حَيَاتِكَ . وَهَذَا يَشْمُلُ كُلَّ شَيْءٍ حَتَّى إِبْعَادَ شَخْصِكَ لَأَنَّهُ يُسَبِّبُ لَكَ إِزْعَاجًا ، مَثَلًا أَنْ يَجْعَلَهُ اللَّهُ يَبْتَلِي بِمَا يَجْعَلُهُ يَكْفَ إِزْعَاجَهُ لَكَ . أَوْ تَيْسِيرُ أَمْرَكَ لِلرِّوَاجِ بِأَمْرَأَةٍ تُشْرِقُ مَعَهَا حَيَاكَ إِشْرَاقةً جَدِيدَةً ، وَتُضَفِّي إِلَيْهَا حَيَوَيَّةً جَدِيدَةً ، أَوْ تَحُولُ فِي عَمَلِكَ بِمَا يُحَقِّقُ لَكَ نَفْعًا كَبِيرًا ، أَوْ

بعض المستجدات التي تعود إليك بعوائد مالية ممتازة ، أو الشفاء من مرض كان يهدد حياتك ، أو كان ينبعض عليك حياتك ، وما إلى ذلك .
 ثم : (ضراء) . وهي حصيلة طبيعية لأخطاء يرتكبها ، فيمس بيتها .

ثم : (السينات) : (ليقولن ذهب السينات عنني) . أي (ذهب) مس (السينات) عن كاهلي ، بعد أن كنت أرتج تحت وبال مسن (السينات) .
 فالآن : (ذهب السينات عنني) . انصرف عن وأراحي .

لذلك جاء الفرح بعد ذلك ، لكنه ليس فرحاً محموداً ، بل هو فرح مدموم من صنف الباغي قارون الذي قال له قومه : (لَا تَفْرَحْ ، إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرَحِينَ) (القصص : ٧٦) .

فهو فرح ممزوج بالافتخار والتباكي والاستكبار ، وليس فرحة حمد وشكراً لله تعالى على فضله . وقد كشفت الآية الكريمة النقاب عن مكنونات هذا الشخص : (إِنَّه لَفَرِحٌ فَخُورٌ) . فرح استكبار عن شكر الله الذي تفضل عليه . وهنالك تبيه للغافل بأن يتجلب التماخر والاستكبار عندما يتفضل الله عليه برفع نقمه واستبدالها بنعمة ، بتكريمه من شخص في الامام إلى شخص معتبر ، من عاطل عن العمل إلى عمل جيد . فذلك كلّه قد تحقق له برحمه من الله ، وليس بمجهوداته ، أو مجهودات أي شخص آخر ، وهي مجرد أسباب هيأها الله سبحانه وتعالى . وهذا يعني بأن على الإنسان أن يبذل الجهد ويسعى نحو الأفضل ، ويسأل الله التوفيق . مما يحصل عليه الإنسان يكون أكثر مما بذل من جهد ، فيتحقق له الله أكثر مما بذل رحمة منه بالإنسان . فإذا مرض وهذا من الضراء ، فعليه أن يذهب إلى الطبيب كي يلقى العلاج . هنا فإن هذا الدواء فيه نسبة من الشفاء ، قد تكون في أعلى درجاتها لا تتجاوز ١٠% . وهذا لا يكفي كي يبرا من المرض الذي ألم به . ولكن الله برحمته يجعله يشفى من خلال هذا العلاج الذي سوف يتقبله الجسم ويتفاعل معه بنسبة ١٠٠% من خلال رحمة الله التي لولاها لليث التفاعل بنسبة التي هي ١٠% .

ولذلك قال سيدنا إبراهيم عليه السلام ، وهو خليل الله عز وجل : (وإذا مرضت فهو يشفين) (الشعراء : ٨٠) . يكون الشفاء من الله سبحانه

وتعالى ، لكن لا بدّ من الأخذ بالأسباب واستخدام العلاج ، بشرط ألا تعتقد كلّ أمل الشفاء على العلاج ، أو على مهارة الطبيب ، بل على الله . فلا يمكن لأيّ شخص مهما تقدّم في العلم أن يصنع دواءً بنسبةٍ مئويةٍ في العلاج . فتاخذ الدواء وتسأله الشفاء ، حتى تُصبح النسبة الناقصة في الدواء مُكاملة ، فيكون الله قد شفاك . وإن لم يشفك الله ، فلا يمكن لك أن تُشفى مهما استخدمت من أدوية ، ومهما عالجك أطباءٌ مهرة ، حتى لو كانوا أمهر أطباء الأرض . ولذلك لا توجد عملية جراحية نسبة نجاحها مئوية مهما كانت صغيرة أو كبيرة . فيمكن لعملية بسيطة جداً نسبة نجاحها عالية جداً ، مثل خلع سينٍ ، أن تُودي بحياة إنسان ، ونظير ذلك يمكن إجراء عشر عملياتٍ باللغة الخطورة ونسبة نجاحها متدينة جداً ، وفي أكثر أعضاء الجسم خطورة ، لشخصٍ وتنجح كلّها . (وتنزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الطالمين إلا خسارا) (الإسراء : ٨٢) .

(قُلْ هُوَ لِلّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشَفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذانِهِمْ وَقُرْءَانٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمَى أَوْلَئِكَ يُنَادِونَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ) (فصلت : ٤) . والشافعي من أسماء الله الحسنى . عن عائشة رضي الله عنها : (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا اشْتَكَى مِنْ إِنْسَانٍ مَسَحَهُ بِيمِينِهِ ثُمَّ قَالَ : " أَذْهِبِ الْبَاسَ ، رَبُّ النَّاسِ ، وَأَشْفِفْ أَنْتَ الشَّافِي ، لَا شَفَاءَ إِلَّا شَفَاؤُكَ ، شَفَاءٌ لَا يُعَادِرُ سَقْمًا ") .

من هنا فإن الدواء الذي تأخذه وأنت تقول : بِسْمِ اللَّهِ . وتكون مُوقناً بأن الله هو الشافي ، لا يكون بأي حال من الأحوال كدواء لا تذكر عليه اسم الله ، ولا تومن بأن الله هو الشافي . عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ادْعُو اللَّهَ وَأَنْتُمْ مُوْقِنُونَ بِالإِجَابَةِ ، وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَجِيبُ دُعَاءَ مِنْ قَلْبٍ غَافِلٍ لَاهٌ " . الاستثناء :

ويبيّن تعالى شأنه منزلة الصابر في ذلك بقوله : (إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ) (هود : ١١) .

١ صحيح مسلم .

٢ رواه الترمذى .

هكذا يجعلك القرآن تقرؤه بسوية متماسكة تفادي للتشتت ، لأن القرآن متماسك ، دقيق التماسك مع بعضه بعضاً . فهنا تستهل الآية الكريمة باستثناء تبشيري من رب العالمين : (إلا) أي يُستثنى من عواقب ذلك (الذين صرروا) في السراء والضراء . (وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) لم ينقطعوا عن عمل (الصالحات) . سواء في السراء أو الضراء . (أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةً) . وعد من الله عز وجل بمغفرة ما ارتكبوا من ذنوب جملة واحدة ، حتى لو كانت مداد الأرض . (وَأَجْرٌ كَبِيرٌ) . فإذاً إلى كل هذه الرحمة الإلهية بهم ، كذلك ليس فقط : (وَأَكْرَبَ) بل : (وَأَجْرٌ كَبِيرٌ) . فيغدق عليهم الله تعالى شأنه بما في الدنيا وفي الآخرة بما لم يخطر لهم على بال . فأنت عندما تؤدي عملاً لكفتك به ملك ، وقال بأنه سيعطيك أجرك وأكثر . ربما ستفكر بالأكثر أكثر من الأجر ، لأنك أكثر الملك ولا بد أنه سيتفوق الأجر بكثير . فأقصى ما تتوقعه من هذا الملك ، لا يبلغ ذرة واحدة من الأجر الكبير الذي يعدهك به الله الذي له المثل الأعلى في السموات والأرض . فليس كمثله شيء ، وليس كعطائه عطاء . فإذاً ، يُشرك الله تعالى ذكره بأن لك عنده : (مَغْفِرَةً وَأَجْرٌ كَبِيرٌ) . إذا أئسْتَ بالصبر وجعلته منهاجاً في حياتك ، وواظبت على أعمال صالحٍ وفق مستطاعك .

وعمل (الصالحات) . متفرع يشمل كل جوانب الحياة ، ولا يحرم الله أحداً من إمكانية عمل (الصالحات) . مهما كان وضعه ، إن أراد أن يعمل صالحًا . فماطلة أذى وجدته على طريقه ، هو عمل صالح قد يغفر لله جميع ذنوبك ، ويدخلك الجنة بهذا العمل الذي عملته دون أن يكلفك شيئاً ، وقد رأيته بسيطاً ، ولكنه عند الله عظيم . لماذا ؟ لأنك ما أردت أن يتأنّى عبد من عباد الله ، فرأى الله عز وجل موقفك هذا ، وعرف مقصدك ، وهنا قد يُشيّر عليك في تلك اللحظات أمام الملائكة الكرام ، ويغفو عنك كل ذنب أذنته في حياتك دون أن تعلم بأن كل ذلك حصل بمجرد هذه الحركة البسيطة . فأنت عكس شخص آخر يتقدّم أن يضع الأذى على طريقك ليتأذى به المشاة ، أو يضعه على طريقك كي يتأنّى به السيارات العابرة . وهكذا فتحة أناس فيها خامة الخير ، وأناس فيهم خامة الشر ، ولا تستوي الخامتان عند الله عز وجل .

الإيمان وأماراته الثلاث في ضوء الكتاب والسنة

الشيخ الحافظ محمد عمران خان الندوى الأزهري رحمة الله

(الشيخ الجليل الحافظ محمد عمران خان الندوى الأزهري من خريجي ندوة العلماء البارعين من ، ومواليد ١٩١٣م بمدينة بوفال ، وكان والده الشيخ محمد إلياس خان أفغاني النسل ، درس أولاً في مدينة بوفال ، ثم التحق بدار العلوم لندوة العلماء ، وتخرج منها في العلوم الإسلامية (القضية) عام ١٩٢٢م ، ثم واصل دراسته في جامعة الأزهر ، حيث تخصص في الدعوة والإرشاد بمصر ، عام ١٩٣٩م ، وبدأ تدرис التفسير والحديث في دار العلوم لندوة العلماء بعد تخرجه منها ، إلا سنوات قضائها في جامعة الأزهر ، وحينما رجع من مصر ، فأصبح أستاذًا للعلوم الإسلامية ونائب مدير لدار العلوم ، وبعد سنوات انتخب مديرًا لدار العلوم ، وظل على هذا المنصب إلى مدة طويلة ، وكان عهده في دار العلوم عهداً زاهراً ،رأيت عهده عن كثب وكانت طالباً في الدراسات العليا للتخصص في الأدب العربي ، وكان الشيخ عالماً جليلاً ، وخطيباً بارعاً ، وأستاذًا محنكًا ، وداعية إلى الله ، ومخلصاً في أعماله ، ومواظباً على مسؤولياته التي فوّضت إليه ، وقد أنشأ في بوفال دار العلوم تاج المساجد ، كما قام بإنجاز مشاريع تاج المساجد التي لم تتم حتى الآن ، وهو عمل كبير مقبول يرجع إليه الفضل بعد توفيق الله عز وجل ، وقد زار جمهورية مصر ، والمملكة العربية السعودية ، وسرى لنكا ، ولبيا وباكستان وكينيا وممباسا والكويت وبريطانيا ، وكندا والولايات المتحدة الأمريكية وري يونين ، وكانت شخصيته عظيمة ، وهو من زملاء الإمام الشیخ السید أبي الحسن علي الحسني الندوی ، وأحد تلامذة العلامة السید سليمان الندوی النجباء ، وله مؤلفات وأعمال جليلة تذکر وتشکر ، وتوفي رحمه الله تعالى ١٩٨٦م ، وصدرت له حديثاً مجموعة خطبه العلمية والدينية ، التي رتبها الأخوان العزيزان الدكتور سفيان حسان الندوی والأستاذ حمدان حسان الندوی ، وهما من أحفاد الشيخ محمد عمران خان الندوی . ننشر هنا خطبة من هذه المجموعة تعنى للفائدة وتفعاً للقراء . التحرير)

الحمد لله رب العالمين ، والصلوة والسلام على سيد الأنبياء وإمام المسلمين محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، أما

بعد :

فقد قال الله تعالى : (وَلَا تَكُونُوا كَالذِّينَ حَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرَئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُحِيطًا) (الأنفال : ٤٧) .

أيها الإخوة ! جعل الله تعالى لكل شيء علاماً وأماراً ، فإذا ظهرت هذه العلامة فيه عُرف به ذلك الشيء ، كذلك الأفراد والأشخاص إذا وجدت فيهم أمارات الإيمان والإسلام اعتبروا أصحاب دين وإيمان ، أو أصبحوا قريباً من الدين ، وتوجد فيهم ثلات صفات بوجه خاص .

(١) التواضع : وهو أن يعتبر الإنسان نفسه هينة ، ولا يكثرون حسن الظن إلى نفسه ، كما لا يسيئ الظن إلى الآخرين ، وظهور صفة التواضع من سلوك الإنسان وكلامه وسيرته وعاداته ، حينما يختلط قلب الإنسان بالإيمان بالله ، قال صلى الله عليه وسلم : من تواضع لله رفعه ، ومن تكبر وضعه الله ، حتى يجعله أحسن من الكلب والخنزير (عن ابن عمر رضي الله عنهما ، تحرير مشكاة المصايح : ٥٤٦) ، وكان سيدينا عمر رضي الله عنه يقول عند وفاته : وددت لو أني خرجت منها كفافاً لا علي ولا لي ، وحين أشرف على الموت قال لابنه عبد الله رضي الله عنه : ضع خدي على الأرض ، ثم قال : ويلي إن لم يغفر لي . هذا حال خليفة المسلمين سيدينا عمر رضي الله عنه الذي فتح مصر وقيصر ، وكان سيدينا أبو بكر رضي الله عنه وهو أفضل الصحابة رضي الله عنهم ، يقول في خلافته : يا ليتني ! كنت خضرة تأكلني الدواب (كتب المتنين لابن أبي الدنيا ، ص: ٢٦) . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : واعلموا أنه لن ينجو أحد منكم بعمله قالوا : ولا أنت يا رسول الله ! قال : ولا أنا ، إلا أن يتغمدني الله برحمته منه وفضل (متفق عليه برواية أبي هريرة رضي الله عنه) هذا قول سيد الأولين والآخرين الذي بشر الصحابة بالجنة والنعيم ، لكنه يقول عن نفسه : أنا فقير إلى الله تعالى .

(٢) الإخلاص : الشيء الثاني الذي يقرب الإنسان إلى الدين ، هو إخلاص نيته و عمله لله تعالى ، وخلوه من الرياء ونيل السمعة ، فإذا كان الإنسان مخلصاً في عمله لله ، كان نادماً ومتأسفاً على أعماله ونشاطاته ، وكلم كان سيدينا أبو بكر وسیدنا عمر رضي الله عنهما نادمين على أعمالهما رغم تضحياتهما الجبارية في سبيل الله عز وجل ، وكان صلى الله عليه وسلم يقوم الليل ويدعو الله دعاء الخائف الضرير طول الليل ، وإذا سأله الصحابة على هذا العمل : أما غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ، قال : أفلأكون عبداً شكوراً . (متفق عليه برواية السيدة عائشة رضي الله عنها) .

(٣) إبداء ضريبة الحب للصحابية الكرام ، هذا هو الشيء الثالث من أمارات الإيمان ، وهو طلب المغفرة للمؤمنين السابقين ، وطلب الهدایة لنفسه ، هكذا كان دأب السلف الصالحة ، وقد ذكر الله تعالى : (ربنا آغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْرَانَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلَّا لِلَّذِينَ آمَنُوا)

(الحشر : ٥٩) وقال في سورة الفاتحة : أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ . صراطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ، وهو صراط الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين ، فرجال القرون المشهود لها بالخير يأتون ضمن هذه القائمة ، خير القرون قرني ثم الذين يلوهم ثم الذين يلونهم ، فإذا كان في قلب الإنسان حب الصحابة فلا يدخله البغض ، والعداوة ، وإذا كان الإنسان يدعو لهم فلا يتطرق إليهم الضعف ، فالأساس في الإسلام هو أسوتهم ونهجهم ، فعلينا أن ندعو الناس إلى هذه الأسوة الطيبة ، ولا نبتغي من وراء ذلك مالاً ولا جاهماً ولا عزاً ولا سلطاناً .

أيها الإخوة ! هذه الأمارات الثلاث التي ذكرت لا بد من وجودها في الأفراد المنتسبين إلى الإسلام ، وقد جمع الله تعالى هذه الأمارات في هذه الآية ، قال الله تعالى : (وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ يُخَرَّجُونَ مِنْ دِيَارِهِمْ بَطْرَا وَرَثَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحَيِّطٌ) (الأنفال : ٧٤) ، نهى الله في هذه الآية عن البطر والرياء والصد عن سبيل الله تعالى ، وهذه قاعدة مسلمة من القواعد أن الإنسان إذا مُنْعِنَ من شيء فكأنه أمر بضده ، كما ذكر الإمام البيضاوي ، وتفسير أبي السعود ، فالبطر ضد التواضع ، والرياء ضد الإخلاص ، والصد عن سبيل الله ضد الدعوة إلى الله تعالى ، فتدل الآية على أن يكون الإنسان متواضعاً ، لا بطراً ، مخلصاً في عمله ونادماً على أعماله لا مرائياً ولا متظاهراً بها ، ومتخذنا في الدعوة إلى الله منهـج السلف الصالـح ، وهو الجهد والجهاد في سبيل الله تعالى ، والسير والتجول في الأرض لإصلاح نفسه وإصلاح الآخرين ، هذا الذي يزيد الإيمان واليقـن في قلب الإنسان ، فمن أراد أن يسبـح فليذهب في الماء لا أن يمشـي على البر ، فـكما أن إنجليزـيا مـطـلاـعاً على قـوـاعـد السـبـاحـة جاءـ من كلية كالـون Collin College بتـكـسـاسـ إلى لـكـنـاؤـ ، ولا يـعـرـف عمـليـاـ السـبـاحـة ، فـكـان يـعـلـم السـبـاحـة نـظـرـياـ ، وـظـلـ مشـغـلاـ بـهـا ، فـلـم يـتـعلـم الطـلـاب السـبـاحـة عمـليـاـ سـوـى أـصـوـلـهـا وـقـوـاعـدـهـا ، فـكـما أن لـاعـبـي لـعـبـهـ هـوـكـيـ وـكـرـةـ الـقـدـمـ يـأـتـونـ إـلـىـ السـاحـةـ وـيـلـعـبـونـ ، كـذـلـكـ تـظـهـرـ الدـعـوـةـ إـلـىـ اللـهـ عـلـيـاـ فـيـ مـيـدانـ الـحـيـاـةـ ، سـوـاءـ طـبـقـتـ عـلـىـ نـفـسـ الـإـنـسـانـ أوـ عـلـىـ الـآـخـرـينـ ، كـذـلـكـ لـاـ يـنـالـ إـلـيـانـ شـيـئـاـ مـنـ ظـاهـرـ الـعـلـمـ مـاـلـمـ يـكـنـ مـعـهـ الـعـلـمـ ، هـنـالـكـ يـنـزـلـ نـصـرـ اللـهـ تـعـالـىـ ، قـالـ اللـهـ تـعـالـىـ : إـنـ تـنـصـرـوـا اللـهـ يـنـصـرـكـمـ ، وـخـلـقـ الـمـؤـمـنـ لـلـأـمـرـ بـالـعـرـوفـ وـالـنـهـيـ عـنـ الـمـنـكـرـ ، قـالـ تـعـالـىـ : كـُـنـّـمـ خـيـرـ أـمـةـ أـخـرـجـتـ لـلـنـاسـ تـأـمـرـونـ بـالـعـرـوفـ ، وـكـانـتـ حـيـاـةـ النـبـيـ صـلـى اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ فـيـ مـكـةـ ذـاتـ حـرـكـةـ وـنـشـاطـ ، وـكـانـتـ حـيـاـةـ الـمـدـنـيـةـ عـبـارـةـ عـنـ الـإـسـقـامـ ، وـإـرـسـالـ الـوـفـودـ إـلـىـ الـمـجـتمـعـاتـ الـإـنـسـانـيـةـ لـشـرـحـ مـعـنـيـ الـإـسـلـامـ . (تعـرـيـبـ : محمد فـرـمانـ النـدوـيـ)

الأصول العملية للتعليم والتربية

الأستاذ عبد الولي بن محمد ظاهر*

الحمد لله الذي كان بعباده خبيراً بصيراً ، فتبارك الذي جعل في السماء بروحاً ، وجعل فيها سراجاً وقمراً منيراً . وهو الذي جعل الليل والنهار خلقةٌ لمن أراد أن يذكر أو أراد شكوراً . والصلوة والسلام على من بعثه ربه هادياً ومعلماً ومبشراً ونذيراً ، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً وعلى آلـه وصحبه وسلم تسليماً كثيراً .

لا شك أن الأخيار من هذه الأمة بعد الأنبياء قدرًا وشرفًا هم الذين اختاروا أن يكونوا ورثة للأنبياء والرسل - على رغم أنهم تكافحوا في حياتهم الأزمات والمكروهات - في التعليم والتربية والنجاح والهداية .

كما قال الله تعالى : (هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمَمِ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَنَّلُ عَلَيْهِمْ آيَاتٍ وَيُرِكِّبُهُمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ) [الجمعة : ٢] .

وإن من البديهيات أن رسول الله صلى الله عليه وسلم علم أصحابه ورباهم في حياته صلى الله عليه وسلم ليصبح كل واحد منهم مقنداً لجيل يأتي بعده ؛ لأنه صلى الله عليه وسلم إنما هو أسوة حسنة في شؤون الحياة كلها خطوة خطوة .

قال الله تعالى : (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أَسْوَةٌ حَسَنَةٌ) [الأحزاب : ٢١] .

ومنها التعليم والتربية ، ولهم مزية هامة لإحياء شعور البشرية في الحياة بوصولها إلى الهدف النهائي بعد الممات .

وعلى كل حال ، ففي مجال التعليم والتربية يبرز دائماً سؤال ، وهو ما الذي يجعل طلاب فصل في مدرسة يحققون معدلات تفوق حقيقة في مادة ما ، بينما يعجز أقرانهم في مدرسة أخرى عن ذلك ، رغم تشابه

* المتخصص في علوم الحديث ، بجامعة العلوم الإسلامية ، للعلامة محمد يوسف ، بنوري تاون ، كراتشي ، باكستان .

القدرات والظروف المحيطة بهم ؟

وهو ما سنحاول التطرق إليه في هذا المقال بتوضيح الأصول

العملية للتعليم والتربية .

الأول : التقويم الصحيح للمتطلبات المادية والمعنوية :

ينبغي أن يكون مضمون التعليم والتربية وسلوك المربي شاملًا بحيث يصبح ناظراً ومدركاً لأصالة البعد الروحي والمعنوي للإنسان ، وينظر دوماً إلى المتطلبات المادية كأداة ووسيلة (وليس كهدف) وفي الوقت نفسه اجتناب الإفراط في النصائح التي تؤدي إلى اضطرابات نفسية ، وينبغي عدم تجاهل الالتزام بالتعاليم الصحية والتربية البدنية والترفيه المعمول .

الثاني : تحفيز مشاعر الكرامة والاعتزاز بالنفس :

نظراً إلى المكانة التي حُصّن بها الإنسان بين المخلوقات ، والنعمة الإلهية التي مَنَ الله بها عليه – سواء البدنية منها والنفسية أم من النعم الخارجية والاجتماعية وما حباه من سيطرة الطبيعة وهيمنتها عليها لا بد منها – عند تعليمه – من تحفيز مشاعر الكرامة والعزة لديه ، ولا بد من إفادته بأن اقتراف الأعمال الرذيلة بمثابة تدنيس جوهر إنسانيته ، وأن الانقياد لأهواء النفس يعني استعباد وإذلال عقله وروحه الملوكية . وعلى صعيد آخر ، نظراً إلى أن أعضاء بدنه وقواه كلهاأمانة إلهية عنده – كما هو حال النعم الخارجية – فلا بد أن يكون التعامل معها واستخدامها بشكل يرضي صاحبها الحقيقي وهو الله تعالى ؛ لكي لا تكون هناك خيانة في هذه الأمانة ، وكذلك يتعمّن لدى المعلم والمربي أن ينظر إلى المتعلمين كأمانة إلهية أودعت لديه ، ويجب عليه أن يعلّمهم أسمى العلوم بأفضل الأساليب ويربيّهم أحسن ما تكون التربية .

الثالث : محاربة الغفلة :

بما أن الإنسان يقف على الدوام عند مفترق طرريقين يقوده أحدهما نحو غاية الرُّغْي بلا نهاية ، وينتهي به الآخر نحو غاية الانحطاط بلا نهاية ، فلا بد أن يتركز التعليم على تبيين خطورة موقفه ؛ لكي لا يفتر بالتكريم الإلهي الابتدائي وبالنعم الدنيوية . وعليه أن لا يقضى حياته بالغفلة والبطالة ، وينبغي تسخير غريزة حب المنفعة وحب الكمال

واجتناب الضرر المؤدّع في فطرة كل إنسان في سبيل التعجيل بحركته التكاملية؛ مثلاً هو مشهود في تعاليم القرآن الكريم وسنة النبي صلوات الله وسلامه عليه.

الرابع : إحياء ذكر الله :

بما أن الهدف من خلق الإنسان هو الوصول إلى القرب الإلهي . فمن الواجب إحياء ذكر الله في قلب المتعلم؛ لكي تتوافر له السكينة النفسية ، ولكي يجعله كالبُوصلة لتعيين وتصحّح مسيره ، وأن يُضفي على أعماله قيمة أيضاً من خلال إعطائها دافعاً إليها .

الخامس : استبدال الامتناهي بالمتناهي :

نظراً إلى أن الدنيا مقدمة للأخرة ، فلا بد من استخلاص نتائجين مهمتين من ذلك .

الأولى : عدم إعطاء أولوية أو أصالة للذات الدنيا وألامها ؛ لكي لا تبهره طيباتها ولا تُرهبها آلامها .

الثانية : أن يدرك القيمة الحقيقية لساعات ولحظات عمره ؛ إذ يمكنه نيل السعادة الأبدية عن طريق قضائها في أعمال ترضي الله ورسوله ، كما يمكنه إنفاقها في الرذائل . فينتهي به الحال إلى الشقاء الأبدي . وهذا يعني أن قيمة لحظة واحدة من العمر لا تقادس بأرطال من الذهب والجواهر .

السادس : محاربة التطفُّل :

بما أن الكمال والسعادة الأبدية للإنسان لا تتحقق إلا بعمله الاختياري .

إذن فلا بد من استئناف نزعة الاندفاع الذاتي والمبادرة الذاتية واستقلال الشخصية لديه ، وتنمية روح الشعور بالمسؤولية والالتزام فيه ومحاربة ما فيه من روح الاتكالية والتطفُّل والاعتماد على الآخرين مع التبيه إلى هذه الملاحظة في كل سلوك وتصرُّف يمارسه المعلم مع المتعلمين (كما في حالة أداء التكاليف والواجبات المدرسية) .

السابع : الاهتمام بالحرية في الأعمال والممارسات :

انطلاقاً من أهمية (حرية الاختيار) في حركة الإنسان التكاملية ، فلا بد من إعطاء المتعلم حرية العمل والممارسة ، وعدم صياغته بشكل حلقة فاقدة للإرادة ، مع السعي إلى أن لا تتصف التعاليم والإيحاءات

بطابع الضغط والإكراه . وفي الحالات التي تقتضي فيها مصلحة المتعلم تدخل المعلم والمربّي فينبغي الحرص على أن لا يكون هذا التدخل مباشراً بحيث لا يشعر المتعلم بضغط أو تقييد ، وأن يكون مقروراً بالاستدلال المنطقى جهد الإمكان ، ولا يتعدى حدود الإرشاد والتوجيه .

الثامن : رعاية مبدأ التدرج :

نظراً إلى تدرج سير الإنسان في تطوره وتكامله الطبيعي والاكتسابي ؛ يجب على المعلم والمربّي أن يأخذ بنظر الاعتبار على الدوام مقتضيات السنّ والعوامل الطبيعية والاجتماعية ، ويسعى لكي يتدرج المتعلم خطوة بعد خطوة بهدوء وتأن ، وأن لا يتوقع منه طفرات سريعة ومفاجأة ، وأن يمنع بتدبير عقلاني حتى إفراط المتعلم في عملية الدراسة أو تهذيب ذاته مما يحتمل منه إضعاف بدنه أو إصابته بأضرار نفسية .

التاسع : المرونة والاعتدال :

نظراً إلى وجود جانب كثيرة من التفاوت على الصعيد الفردي والجماعي ، فلا بد من جعل المرونة الالازمة والمعقولة نصب العين سواءً عند وضع المناهج أو عند تطبيقها مع اجتناب الإصرار على تطبيق مناهج وبرامج جافة ذات وثيرة واحدة وبشكل متساوٍ على جميع المتعلمين بحيث يؤدي ذلك إلى طمس حقوق وحيبة الكثير منهم . وعلى كل الأحوال يجب أن يُتخذ الاعتدال أصلاً ومباءً في العملية التربوية .

العاشر : ترجيح الأهم :

نظراً إلى أهمية دور المعلم والمربّي في تنشئة وإعداد الناشئة من المتعلمين وإنضاج استعداداتهم يجب أن يضع المعلمون والمربّيون وخاصةً المسؤولون عن وضع الخطط والمناهج تصبّ أعينهم مسؤوليتهم الخطيرة هذه ، مع الاهتمام الدقيق بمصلحة كل واحد من المتعلمين ، وكذلك مصالح المجتمع الإسلامي بل وحتى مصالح المجتمع البشري ، واجتناب وضع أو تطبيق الخطط والمناهج أو المواد التي تؤدي إلى إهدار الوقت وتضييع العمر ، أو إذا لم تكن ذات قيمة مهمة بالمقارنة مع مصالح أسمى ، وأن يركزوا من بين الدروس على ما له تأثير أكبر في السعادة الأبدية (كالعقائد والأخلاق الإسلامية) وتدريسها بشكل يجعلها محبوبة

ومرغوباً فيها أكثر في النفس ، وأن يحرصوا على أن يكونوا هم أنفسهم نماذج صالحة يقتدي بها المتعلمون .

الحادي عشر : العلوم الطبيعية والاجتماعية :

نظراً إلى ضرورة الحياة الاجتماعية ومستلزماتها ومتطلباتها ، وكذلك ضرورة التمتع المادي لتوفير الاحتياجات الفردية والاجتماعية والحفاظ على عزة وسيادة المجتمع الإسلامي يتضح لزوم إدخال العلوم الطبيعية والرياضية والاجتماعية ضمن المناهج الدراسية .

إذن يتعمّن على من يضططعون بمهمة التخطيط والبرمجة أن يدرجوا المناهج العامة والتَّخَصُّصِيَّة بدقة كافية في المناهج الدراسية مع الأخذ بنظر الاعتبار إلى الشروط السنّية والذهنية للمتعلمين وحاجات وإمكانيات المجتمع .

تجدر الإشارة إلى أنه يجب في كل الحالات أن يُنصب التركيز والاهتمام على الغاية الأساسية وهي التقرب إلى الله تعالى . ولا ينبغي تفويت أي فرصة في سبيل إحياء الدوافع الإلهية والقيم السامية وكذلك محاربة الغفلة وهو النّفس . وبعبارة أخرى يجب جعل كل الأهداف مقدمةً للهدف النهائي .

الثاني عشر : تقوية الشعور بالمسؤولية إزاء المصالح الاجتماعية :

إن وجود أنواع المسؤوليات الاجتماعية يتطلب توجيهات جهاز التعليم وال التربية نحو الاهتمام بالمجتمع وحب الآخرين . وأن يتم التركيز سواءً عند إعداد معاني الدروس ، أو في تعامل المعلمين والمربّين مع المتعلمين على تقوية خصال التعاون والتضامن والإيثار والتضحية ونكران الذات وحب الخير للآخرين ، وحب العدالة إلى جانب مكافحة صفات الأنانية واللأبالية إزاء المصالح الاجتماعية مكافحة شديدة ، وأن يجري التأكيد على وجه الخصوص في غرس روح البسالة ومحاربة الظلم ومجاهدة ومقارعة الجبارة والمفسدين وحماية المظلومين والمحروميين لدى المتعلمين ؛ لأجل تنشئة عناصر صالحة وفاعلة ؛ لبناء المجتمع المنشود ، وقدرة على الاضطلاع بدورها في تحقيق الهدف الإلهي .

من جوانب التربية المحمدية لهذه الأمة المجيدة

الشيخ الطاهر بدوي *

إن نظام المؤاخاة لم يكن جاهلياً ، إنما هو نظام استحدثه الإسلام بعد الهجرة لمواجهة حالة المهاجرين الذين تركوا أموالهم وأهليهم في مكة ، ومواجهة الحالة كذلك بين المسلمين في المدينة من انفصلت علاقاتهم بأسرهم نتيجة لإسلامهم ، وذلك مع تقرير الولاية العامة للنبي صلى الله عليه وسلم ، وتقديمها على جميع ولايات النسب وتقرير الأمومة الروحية بين أزواجه عليه الصلاة والسلام وجميع المؤمنين . قال تعالى : (أَتَنِي أُولَئِي بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أَمَّهَا هُمْ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أُولَئِي بَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَيْ أُولَئِكُمْ مَعْرُوفًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا) (الأحزاب : ٦٦) .

لقد هاجر المهاجرون من مكة إلى المدينة تاركين وراءهم كل شيء فارين إلى الله بدينهم ، مؤثرين عقيدتهم على وشایع القربى وذخایر المال وأسباب الحياة . كذلك وقع في المدينة شيء من هذا في صورة أخرى . فقد دخل في الإسلام أفراد من بيوت وظل آخرون فيها على الشرك فأنبتت العلاقة بينهم وبين قرباتهم . ووقع على أي حال تخلخل في الروابط العائلية وتخالل أوسع منه في الارتباطات الاجتماعية . وكان المجتمع الإسلامي لا يزال وليداً والدولة الإسلامية الناشئة أقرب إلى أن تكون فكرة مسيطرة على النفس ، من أن تكون نظاماً مستنداً إلى أوضاع مقررة . هنا ارتفعت موجة من المد الشعوري للعقيدة الجديدة ، تغطي على كل العواطف والمشاعر وكل الأوضاع والتقاليد وكل الصلات والروابط لتجعل العقيدة وحدها هي الوشيعة التي تربط القلوب ، وترتبط في الوقت ذاته الوحدات التي انفصلت عن أصولها الطبيعية في الأسرة والقبيلة ، فتقوم بينها مقام الدم والنسب ، والمصلحة والصداقه والجنس واللغة وتمزج بين هذه الوحدات الداخلة في الإسلام فتجعل منها كتلة حقيقة متمسكة متجانسة متعاونة ومتكافلة ، لا بنصوص التشريع ولا بأوامر الدولة ، ولكن بداعي داخلي ومد شعوري ، يتتجاوز كل ما ألفه البشر في حياتهم

* كبير علماء الجزائر .

العادية . وقامت الجماعة الإسلامية على هذا الأساس ، حيث لم يكن مستطاعاً أن تقوم على تنظيم الدولة وقوة الأوضاع . وقرر القرآن الكريم في الوقت ذاته الولاية العامة للنبي صلى الله عليه وسلم الذي كان ميلاده نوراً أضاء كل الأفاق وبعثته رحمة للعالمين . فولاية الرسول صلى الله عليه وسلم تتقدم حتمياً على قرابة الدم بل على قربة النفس ، لأنها تشمل رسم منهاج الحياة بحذافيرها ، وأمر المؤمنين فيها إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ليس لهم أن يختاروا إلا ما اختاره لهم بمحبي من ربهم : " لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به " . كما قال عليه الصلاة والسلام . وتشمل مشاعرهم فيكون شخصه صلى الله عليه وسلم أحباب إليهم من أنفسهم فلا يرغبون بأنفسهم عنه ولا يكون في قلوبهم شخص أو شيء مقدم على ذاته .

جاء في الصحيح : " والذى نفسي بيده ! لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه وما له وولده والناس أجمعين " . وفي الصحيح أيضاً أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : " يا رسول الله ! والله لأنك أحب إلي من كل شيء إلا من نفسي " ، فقال صلى الله عليه وسلم : " لا يا عمر ! حتى أكون أحب إليك من نفسك " ، فقال : " يا رسول الله ! والله لأنك أحب إلي من كل شيء حتى من نفسي " . فقال صلى الله عليه وسلم : " الآن يا عمر " .

وليس هذه الكلمة تقال ، ولكنها مرتفق عال لا يصل إليه القلب إلا بلمسة لدنية مباشرة تفتحه على هذا الأفق السامي الوضيئ الذي يخلص فيه من جاذبية الذات وحبها المتوجه بالحنايا والشعوب .

وتشمل الولاية العامة كذلك التزاماتهم . لقد جاء في الصحيح ما نصه : " ما من مؤمن إلا وأنا أولى الناس به في الدنيا والآخرة ، اقرؤوا إن شئتم : " النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم " . فما يؤمن ترك مالاً فليتركه عصبه من كانوا ، وإن ترك ديننا أو ضياعاً فليأتني فأنا مولاهم " . والمعنى أنه يؤدي عنه دينه إن مات وليس له مال يفي بدينه ويعول عياله من بعده إن كانوا صغاراً ، وفيما عدا هذا فإن الحياة تقوم على أصولها الطبيعية التي لا تحتاج إلى مد شعوري عالياً ، ولا إلى فورة شعورية استثنائية مع الإبقاء على صلات المودة بين الأولياء بعد إلغاء نظام الإخاء . فلا يمتنع أن يوصي الولي لولييه بعد مماته أو أن يهبه في حياته " . إلا أن تفعلوا إلى أوليائكم معرفة " .
لقد جاء الرسول صلى الله عليه وسلم من أنفس العرب ومن

أَنفُسْهُمْ وَأَشْرَفُهُمْ قَالَ تَعَالَى : (لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسْكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنْتُمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ . إِنَّ تَوَلَّوْا فَقْلُ حَسَبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكِّلُتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ) (أَوْ أَخْرُجُ سُورَةَ التُّوبَةَ) ، فَهَذَا الرَّسُولُ الْكَرِيمُ بَضْعَةٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ يَشقُّ عَلَيْهِ عَنْتُكُمْ وَمُشَقْتُكُمْ لَا يَلْقَى بَكُمْ فِي الْمَهَالِكِ وَلَا يَدْفَعُ بَكُمْ إِلَى الْمَهَاوِيِّ ، فَإِذَا كَلَّفْتُكُمُ الْجَهَادَ وَرَكْوَبَ الصَّعَابِ فَمَا ذَاكَ مِنْ هُوَانٍ بَكُمْ عَلَيْهِ وَلَا يَقْسُوْتُ فِي قَلْبِهِ وَغَلَظَةٍ ، إِنَّمَا هِيَ الرَّحْمَةُ فِي صُورَةِ مِنْ صُورِهَا الرَّحْمَةُ بَكُمْ مِّنَ الذَّلِّ وَالْهُوَانِ وَالرَّحْمَةُ بَكُمْ مِّنَ الذَّنْبِ وَالْخَطَيْئَةِ وَالْحَرْصُ عَلَيْكُمْ أَنْ يَكُونَ لَكُمْ شَرْفُ حَمْلِ الدُّعَوَةِ وَحَظْ رَضْوَانُ اللَّهِ وَجَنَّةُ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَقْنَوْنَ .

فَوْظِيفَةُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أَمْتَهِ أَنْ يَكُونَ "شَاهِداً" عَلَيْهِمْ ، فَلَيَعْمَلُوا بِمَا يَحْسَنُ هَذِهِ الشَّهَادَةُ الَّتِي لَا تَكْذِبُ وَلَا تَزُورُ وَلَا تَبْدِلُ وَلَا تَغْيِيرُ ، وَأَنْ يَكُونَ "مُبَشِّراً" لَهُمْ بِمَا يَنْتَظِرُ الْعَالَمِينَ مِنْ رَحْمَةٍ وَغَفْرَانٍ وَمِنْ فَضْلِ وَتَكْرِيمٍ ، وَأَنْ يَكُونَ "نَذِيرًا" لِلْفَاسِدِينَ بِمَا يَنْتَظِرُ الْمُسَيَّبِينَ مِنْ عَذَابٍ وَنَكَالٍ . فَلَا يَؤْخُذُونَا عَلَى غَرَةٍ وَلَا يَعْذِبُونَا إِلَّا بَعْدِ إِنْذَارٍ ، وَ"دَاعِيَا إِلَى اللَّهِ" لَا إِلَى دُنْيَا وَلَا إِلَى مَجْدٍ وَلَا إِلَى عَزَّةِ قَوْمٍ وَلَا إِلَى عَصَبَيةِ جَاهِلِيَّةٍ وَلَا إِلَى مَغْنِمٍ وَلَا إِلَى سُلْطَانٍ أَوْ جَاهٍ وَلَكِنْ دَاعِيَا إِلَى اللَّهِ ، فِي طَرِيقٍ وَاحِدٍ يَصِلُّ إِلَى اللَّهِ "بِإِذْنِهِ" فَمَا هُوَ بِمُبْتَدِعٍ وَلَا بِمُمْطَوِّعٍ وَلَا بِقَائِلٍ مِّنْ عَنْهُ شَيْئًا ، إِنَّمَا هُوَ إِذْنُ اللَّهِ لَهُ وَأَمْرُهُ لَا يَتَعَدَّهُ "وَسِرَاجًا مُنِيرًا" ، يَجْلُو الظُّلُمَاتِ وَيَكْشِفُ الشَّبَهَاتِ وَيُنِيرُ الطَّرِيقَ نُورًا هادِئًا كَالسَّرَّاجِ الْمُنِيرِ فِي الظُّلُمَاتِ .

وَهَكَذَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَا جَاءَ بِهِ مِنَ النُّورِ جَاءَ بِالْتَّصُورِ الْوَاضِعِ الْبَيِّنِ لِهُذَا الْوَجُودِ وَلِعَلَاقَةِ الْوَجُودِ بِالْخَالِقِ وَلِمَكَانِ الْكَائِنِ الْإِنْسَانيِّ مِنْ هَذَا الْوَجُودِ وَخَالِقِهِ ، وَلِلْقِيمِ الَّتِي يَقُومُ عَلَيْهَا الْوَجُودُ كُلُّهُ ، وَيَقُومُ عَلَيْهَا وَجُودُ هَذَا الْإِنْسَانِ فِيهِ ، وَلِلْمَنْشَأِ وَالْمَصِيرِ وَالْهَدْفِ وَالْغَایِيَّةِ وَالْطَّرِيقِ وَالْوَسِيلَةِ فِي قَوْلِ فَصْلٍ ، لَا شَبَهَةُ فِيهِ وَلَا غَمْوضٌ . وَيَقِيْفُ أَسْلُوبٌ يَخَاطِبُ الْفَطَرَةَ خَطَابًا مُبَاشِرًا وَيَنْفَذُ إِلَيْهَا مِنْ أَقْرَبِ السُّبُلِ وَأَوْسَعِ الْأَبْوَابِ وَأَعْقَمِ الْمَسَالِكِ وَالْدُّرُوبِ .

لَقَدْ حَدَّ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَهْمَتَهُ بِقَوْلِهِ : " إِنَّمَا بَعَثْتُ مَعْلِمًا " ^١ . وَالْقُرْآنُ الْكَرِيمُ ذَكَرَ هَذِهِ الْمَهْمَةَ الْأَسَاسِيَّةَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِصَرَاحةٍ فَقَالَ : (هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأَمَمِينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَأْتُوا

^١ أَخْرَجَهُ الْإِمامُ أَحْمَدُ .

عليهم آياته ويزكيهم ويعلّمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفني ضلالاً مبيناً (الجمعة: ٢). فقد أحصت هذه الآية من مهمات الرسول صلى الله عليه وسلم التعليم والتربيـة ، تعليم الكتاب والحكمة وتربيـة الأنفس عليهمـا . وكان الجانب الأعظم من حـيـاة الرسول عليه الصلاة والسلام مستـفـرقـاً بهذا الجانب . إذ أنه هو الجانب الذي ينبع عنه كل خـير ولا يستـقـيم أي جانب من جوانب الحياة سياسياً أو اجتماعياً أو اقتصادياً أو عسكرياً أو أخلاقياً إلا به .

ولا يؤتى الإنسان ولا تؤتي أمة ولا تؤتي الإنسانية إلا من التفريط في العلم الصحيح والانحراف عنه إما إلى الجهل أو إلى ما يضر علمه ولا ينفع .

فالآمة بلا علم يوضح لها جوانب سلوكها ، وبلا تربية يعرف كل فرد من أفرادها واجبه ، تصبح آمة فوضوية ، تصرفاتها غير متوقعة وغير منضبطة ، وكل فرد من أفرادها سلوك يخالف سلوك الآخر وعادات وتصورات تختلف فلا تكاد آمة تفلح بهذا ولا فرد .

إن كمال المربى يظهر في مقدار ما يستطيع أن ينقل نفس الإنسان وعقله من حالة دنيا إلى حالة أعلى ، وكلما ترقى بالإنسان أكثر ، دل ذلك على كماله أكثر . ويظهر أيضاً في سعة دائرة البشر الذين استطاع أن ينقلهم إلى كمالهم الإنساني ، فكلما كانت الدائرة أوسع كان أدل على الكمال ، ويظهر كذلك هذا الكمال في صلاحية هذه التعاليم والتربية وحاجة الناس جميعاً إليها ، واستمرار إيتاء هذه التعاليم آثارها على مدى العصور بحيث لا يستغنى البشر عنها . . . وهذا شأن التربية المحمدية لأمته المجيدة التي لا يعتريها نقص ولا تاقض ولا فتور لأنها تربيةٌ ربانية تتلاءم مع الحاجيات والأزمان وتتكيف مع النفوس والعقول ، تربيةٌ لا شرقيةٌ ولا غربيةٌ ، تربيةٌ نورانيةٌ نور على نور يهدى الله لنوره من يشاء .

ولم تكن دائرة تربية الرسول صلى الله عليه وسلم محدودة بـ شملت كل الجزيرة العربية بترتيب وسائل هذه التربية . فكان لا يكتفي من القبيلة بإسلامها حتى يأتيه وفدها وكان يبقي وفدها عنده في المدينة أياماً ليفقه الدين الحنيف من خلال توجيهاته عليه الصلاة والسلام وسلوك صحابته الكرام حتى إذا ما أذن لهم بالرحيل أمر عليهم رحلاً منهم وأمرهم أن يقوموا بعملية التربية والتعليم نيابة عنه . وكان زيادة على ذلك يرسل أصحابه أحاداً أو جماعات ممن فقهوا وربوا تربية عالية إلى كل

مكان ليقوموا بدور المربى . فكان من آثار ذلك أنه خالل بضع سنوات أصبحت الجزيرة العربية وأعية لدين الله مربات مهذبة إلى حد كبير بعد أن كانت في أدنى دركات الانحطاط .

وكان القرآن حفظاً وفهمًا وتطبيقاً وسلوكاً هو أداة هذه التربية العظيمة ، لأنه على قدر ما يستوعبه أفراد الأمة على قدر ما ترتفع أنفسها ويسمو تفكيرها وتفتح آفاق الحياة أمامها ، ولذلك جعله الرسول صلى الله عليه وسلم مقاييساً للخير فقال في حديث أخرجه البخاري : " خيركم من تعلم القرآن وعلمه " . وكان يختار للإمرة أكثر الناس أخذًا للقرآن حفظاً وفهمًا وتطبيقاً ، وربّ أصحابه الكرام على ذلك كعمربن الخطاب رضي الله عنه الذي أصبح بهذه التربية النبوية ، رجل الدولة العظيم ورمز العدل الذي لا يكون إلا معه مع الحزم والرحمة وسعة الأفق وصدق الإدراك وحسن الفراسة ، وكعب عبد الله بن مسعود رضي الله عنه الذي أخرجته هذه التعاليم الرشيدة من كونه راعي الإبل إلى رجل بصير وحكيم ومؤسس لأكبر مدرسة في الفقه الإسلامي والتي ينتسب إليها الإمام أبوحنيفه النعمان ... يصبح الرجل الذي يقول فيه عمر لأهل الكوفة : " لقد آثرتكم بعد الله على نفسك " .

وما مضت على الأمة الإسلامية إلا فترة بسيطة من الزمن حتى أصبحت لا يغلبها غالب فكراً أو حرباً أو حضارة ، أصبحت أمة ، الحق عندها يحكم بالقوة ، والزهد عندها ترافقه الشجاعة والعبادة عندها ترافقها الحكمة أمّا ما رأت الدنيا مثلها ، محبوبة عند الله وعند الناس ، فالكل يشهد لها لا عليها ، ويقف في صفتها إلا جحود أو كنود ، وانظر إلى الأستاذ هيل كيف يقول عن هذه التربية النبوية الفذة : " إن جميع الدعوات الدينية قد تركت آثاراً في تاريخ البشر . وكل رجال الدعوة والأنبياء قد أثروا تأثيراً عميقاً في حضارة عصرهم وأقوامهم ولكن لا نعرف في تاريخ البشر أن دينا انتشر بهذه السرعة وغير العالم بأثره المباشر كما فعل الإسلام ولا نعرف في التاريخ دعوة كان صاحبها سيداً وما كان لزمانه ولقومه كما كان محمد . لقد أخرج أمة إلى الوجود ومكّن لعبادة الله في الأرض وفتحها لرسالة الطهر والفضيلة ووضع أسس العدالة والمساواة الاجتماعية بين المؤمنين وأصل النظام والتتساق والطاعة والعزّة في أقوام لا تعرف غير الفوضى " .

وهل نحن من أبنائها ؟ فإذا قلنا نعم فمن يجب على : قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ٦٦

الاستنساخ من منظور إسلامي

(الحلقة الثانية)

د . خورشيد أشرف إقبال الندوى

رابعاً : موقف الشريعة الإسلامية من الاستنساخ :

سأبين - بإذن الله تعالى - في السطور التالية حكم الشرع في الاستنساخ الجنسي (الجيني) والاستنساخ الاجنسي (الجيني) ، والاستنساخ العذري .

(أ) الاستنساخ الجنسي (الجيني) :

إننا إذا فرضنا فرضاً جديلاً وقوع الاستنساخ الجنسي فعلاً ، فإن هذا يثير التساؤل عن حكم إجراء التلقيح الصناعي الخارجي ، باعتبار أن هذا النوع من الاستنساخ لا يتصور إلا في حال الإخصاب الخارجي بين البيضة والنطفة ، ولذا لا يمكن أن ندلل إلى الحديث عن حكم الاستنساخ الجنسي ما لم نتحدث عن حكم التلقيح الصناعي الخارجي .

للتلقيح الصناعي الخارجي صور عديدة تزيد على العشر ، إذ قد يتم بين رجل وزوجته ، وقد يتدخل بينهما طرف ثالث تؤخذ منه النطفة الذكرية ، أو البيضة التي تلقي بها ، أو يرتقق برحمها في حمل اللقيحة حتى وقت الولادة ، وأكتفي بذكر بعض هذه الصور فيما يلي :

١. أن تؤخذ بيضة المرأة وتحصل بنطفة زوجها خارجياً ، حال حياة الزوجين ، وقيام الزوجية الصحيحة بينهما ، ثم تنقل البيضة المخصبة بعد شروعها في الانقسام ، إلى رحم صاحبة البيضة حال حياة زوجها .
٢. أن تؤخذ بيضة المرأة وتحصل بنطفة زوجها ، ثم تنقل بعد شروعها في الانقسام إلى رحم امرأة أخرى غير صاحبة البيضة ، قد تكون زوجة أخرى لصاحب النطفة الذكرية ، أو أجنبية عنه .
٣. أن تؤخذ البيضة من امرأة ، وتحصل بنطفة غير زوجها ، ثم تنقل بعد شروعها في الانقسام إلى رحمها ، أو رحم امرأة أخرى .

وللعلماء في حكم إجراء التلقيح الصناعي الخارجي قولان :

القول الأول : ذهب أصحاب هذا القول إلى جواز إجراء التلقيح الصناعي الخارجي ، إذا التزمت فيه الضوابط الشرعية ، وهي أن يكون لعلاج انعدام الخصوبة ، بين الزوجين حال قيام الزوجية الصحيحة بينهما ، وأن تدعوه إليه الضرورة ، وهي أن لا يمكن علاج عدم الإنجاب بوسيلة أخرى ، لا يترتب عليها محرم ، إذا تم التأكد من خصوبة الزوج ، وأن يكون الإخصاب الخارجي برضاء الزوجين ، وأن يحتاط عند إجرائه ، بحيث لا تختلط النطف أو البيضات الخاصة بالزوجين بغيرهما ، وأن لا تكشف العورة إلا عند الضرورة إلى ذلك ، وأن تعاد البيضة بعد التخصيب إلى رحم الزوجة صاحبة البيضة ، وأن تؤخذ النطفة الذكرية بطريق مشروع ، وأن يؤمن اختلاط الأنساب عند إجراء هذا الإخصاب . وقد ذهب إلى هذا جمهور العلماء ، وهو الذي أقرته المجامع الفقهية في العالم الإسلامي ، والندوات والمؤتمرات التي انعقدت لبيان حكمه الشرعي^١ .

القول الثاني : يرى من ذهب إليه حرمة إجراء التلقيح الصناعي الخارجي ، وإن كان بين زوجين ، ومن أصحاب هذا القول بعض أعضاء ندوة الإنجاب في ضوء الإسلام ، التي انعقدت بالكويت في ٢٤ / ٥ / ١٩٨٣م^٢ .

الأدلة :

استدل أصحاب القول الأول على جواز التلقيح الصناعي الخارجي ، بضوابطه السابقة بما يأتي :

أولاً : السنة النبوية المطهرة : أحاديث منها :

١. روت حفصة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال :

^١ مجلة مجمع الفقه الإسلامي ٢٠٠١ / ١ ، قضايا طيبة معاصرة ، ج ١ ، ص ٦٠ - ٦٦ ، ١٣٤ - ١٣٥ ، ١٣٧ - ١٤١ ، الانعكاسات الأخلاقية للأبحاث المتقدمة في علم الوراثة ، ٢٩٦ - ٢٩٨ .

^٢ الإنجاب في ضوء الإسلام ٢٥٠ ، مجلة مجمع الفقه الإسلامي ٢٠٩١ ، ٣٧١ ، ٣٨٦ ، العدد الثاني ، مجلة البعث الإسلامي ، ص ٩١ . كما ذهب إليه كل من الأساتذة : رجب التميمي ، ومحمد شقرة ، وأحمد الخليفي ، وعبد الحميد طهماز ، وعبد اللطيف فرفور .

(لا يدع أحدكم طلب الولد فإن الرجل إذا مات وليس له ولد انقطع اسمه) ^١.

وجه الدلالة منه :

أفاد الحديث أن طلب الولد ، واتخاذ الوسائل المساعدة على إنجابه ، مطلوب شرعاً .

٢. عن أسامة بن شريك رضي الله عنه قال : كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم ، وجاءت الأعراب ، فقالوا : يا رسول الله أنتداوى ؟ فقال : (نعم يا عباد الله ! تداووا فإن الله عزوجل لم يضع داء إلا وضع له شفاءً ، غير داء واحد) قالوا : ما هو ؟ قال : (الهرم) .

٣. عن ابن مسعود رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (ما أنزل الله داء إلا وأنزل له دواءً ، جهله من جهله ، وعلمه من علمه) ^٢ .

وجه الدلالة من الحديثين :

أفاد الحديثان الأمرا بالتداوي من الأمراض ، ومذهب جمهور الفقهاء أن الأمر بالتداوي فيها يفيد الاستحباب ^٣ ، فإذا قام بالزوجين أو أحدهما مانع يحول دون تحقق الإنجاب بالطريق الطبيعي ، ولم يمكن علاجهما ، وكان طلب الولد مشروعًا كانت مساعدتهما لتحقيق هذا المقصود الشرعي في الإنجاب ، بالإخصاب الصناعي مشروعة .
ثانياً : المعقول :

١. إن مساعدة الزوجين على الإنجاب ، بطريق التلقيح الصناعي ، سبيل مشروع لتمكينهما من الحصول على ولد شرعي يذكر بهما ، وبه تمتد حياتهما ، وتكتمل سعادتهما النفسية والاجتماعية ، ويطمئنان

^١ ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد وقال : رواه الطبراني وإسناده حسن (مجمع الزوائد ، ج ٤ ، ص ٢٥٨) .

^٢ أخرجه ابن حبان في صحيحه والحاكم في المستدرك وأحمد في مسنده ، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد وقال : رواه أحمد والطبراني ، ورجال الطبراني ثقات (ابن بلبان : الإحسان بتقرير صحيح ابن حبان ، ج ٧ ، ص ٦٢١ ، الحاكم : المستدرك ، ج ٤ ، ص ١٩٦ ، الفتح الرباني ، ١٧ ، ص ١٥٦ ، مجمع الزوائد ، ج ٥ ، ص ٨٤) .
^٣ حكم التداوي بالمحرمات ، ص ٨ - ٩ .

على دوام العشرة وبقاء المودة بينهما .

٢. إن إجراء التخصيب الخارجي ، بين بيضة المرأة ونطفة زوجها ، أمر طارئ اقتضته الضرورة لعلاج عقم في الزوجين أو أحدهما ، وبما يلبي فطرة الإنسان ويحفظ عليه دينه ونسبه وعرضه ^١ .

استدل أصحاب القول الثاني على عدم جواز إجراء التلقيح

الصناعي الخارجي بما يأتي :

أولاً : الكتاب الكريم :

١. قال تعالى : (لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهْبِطُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَّا هَا
وَيَهْبِطُ لِمَنْ يَشَاءُ الدُّكُورَ . أَوْ يُرْوِجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ
عَلِيمٌ قَدِيرٌ) ^٢ .

وجه الدلالة من الآية : أفادت الآية الكريمة أن من سنة الخالق في خلقه ، أن يهب من يشاء منهم الذرية ، ومنهم من يجعله عقيماً ، ومن ثم فإن اتخاذ الوسائل المساعدة على الإنجاب ، في حق من جعله الله عقيماً يضاد سنة الله في خلقه ، وذلك محظوظ .

٢. قال سبحانه : (نَسَاءُكُمْ حَرَثُ لَكُمْ فَأَتُوا حَرَثَكُمْ أَنَّى شَتُّمْ) ^٣ .

وجه الدلالة من الآية : بينت الآية الكريمة أن للرجل أن يأتي زوجته في موضع الحrust منها حيث شاء ، ابتعاء للولد الذي يكون نتاج ذلك ، وهذا يقتضي كون العلاقة بين الزوجين مباشرةً ، لا يتدخل فيها طرف ثالث ، وفي التلقيح الصناعي - ولو كان خارج الرحم - يتدخل طرف ثالث بين الزوجين ، وفي هذا مناقضة للطريق الشرعي الذي رسمه الله تعالى لإنجاب الولد .

ثانياً : المعقول :

١. إن عمليات التلقيح الصناعي ما زالت في طور التجربة ، ولم تعرف بعد انعكاساتها الأخلاقية والنفسية والاجتماعية على حياة الجنين ، ولهذا فإنها تكون محمرة .

^١ الانعكاسات الأخلاقية للأبحاث المتقدمة في علم الوراثة ، ص ٢٩٧ - ٢٩٨ .

^٢ سورة الشورى ، الآيات : ٤٩ - ٥٠ .

^٣ سورة البقرة ، الآية : ٢٢٣ .

٢. إن عمليات التلقيح الصناعي الـخارجي ، قد يترتب عليها اختلاط الأنساب نتيجة اختلاط قد يحدث في النطف ، فيكون محـرماً لحرمة كل ما يؤدي إلى اختلاط الأنساب^١.

المأي المختار :

والـذـي ترـكـنـ النـفـسـ إـلـيـهـ مـنـ القـولـينـ بـعـدـ اـسـتـعـراـضـ أـدـلـتـهـماـ هو رـأـىـ القـائـلـينـ بـإـبـاحـةـ التـلـقـيـحـ الصـنـاعـيـ الـخـارـجـيـ ،ـ بـالـقـيـودـ التـيـ ذـكـرـهـاـ أـصـحـابـ هـذـاـ الرـأـىـ ؛ـ وـذـلـكـ لـمـ اـسـتـدـلـواـ بـهـ عـلـىـ قـوـلـهـمـ ،ـ وـلـمـ فـيـهـ مـنـ تـحـقـيقـ مـقـصـودـ الشـارـعـ مـنـ زـيـادـةـ النـسـلـ ،ـ لـمـ روـيـ عـنـ أـنـسـ رـضـيـ اللـهـ عـنـهـ أـنـ رـسـوـلـ اللـهـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ قـالـ :ـ (ـ تـزـوـجـواـ الـوـلـودـ الـوـدـودـ ،ـ فـإـنـيـ مـكـاثـرـ بـكـمـ الـأـمـمـ يـوـمـ الـقـيـامـةـ)ـ^٢ـ ،ـ وـرـوـيـ عـنـ عـبـدـ اللـهـ بـنـ عـمـرـ رـضـيـ اللـهـ عـنـهـمـ أـنـ رـسـوـلـ اللـهـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ قـالـ :ـ (ـ أـنـكـحـواـ أـمـهـاتـ الـأـوـلـادـ ،ـ فـإـنـيـ أـبـاهـيـ بـكـمـ يـوـمـ الـقـيـامـةـ)ـ^٣ـ .ـ وـلـنـ يـتـحـقـقـ النـسـلـ أـوـ زـيـادـتـهـ لـلـزـوـجـينـ ،ـ إـلـاـ بـاتـخـاذـ أـسـبـابـ الـطـبـيعـيـةـ وـغـيرـهـاـ ،ـ وـإـذـاـ كـانـ الـحـقـ سـيـحـانـهـ قـدـ أـرـشـدـ إـلـىـ الـوـسـيـلـةـ الـطـبـيعـيـةـ لـلـإـنـجـابـ بـقـوـلـهـ تـعـالـىـ :ـ (ـ نـسـأـؤـكـمـ حـرـثـ لـكـمـ فـأـتـوـاـ حـرـثـكـمـ أـنـ شـتـتـ)ـ ،ـ إـلـاـ أـنـهـ لـمـ يـرـدـ فـيـ هـذـهـ الـآـيـةـ أـوـ غـيرـهـاـ مـاـ يـمـنـعـ مـنـ اـتـخـاذـ وـسـائـلـ صـنـاعـيـةـ تـسـاعـدـ عـلـىـ إـنـجـابـ ،ـ إـذـاـ كـانـ بـيـنـ زـوـجـينـ ،ـ فـالـأـصـلـ فـيـ اـتـخـاذـ هـذـهـ الـوـسـائـلـ الـحـلـ ،ـ إـذـاـ لـمـ يـتـرـتـبـ عـلـىـ ذـلـكـ مـحـظـورـ شـرـعيـ ،ـ وـلـأـنـهـ لـمـ كـانـتـ الغـاـيـةـ مـنـ ذـلـكـ إـلـيـخـابـ الـخـارـجـيـ ،ـ إـنـجـابـ وـلـدـ يـصـحـ نـسـبـتـهـ شـرـعاـ إـلـىـ الـزـوـجـينـ ،ـ فـإـنـ الـوـسـيـلـةـ إـلـىـ ذـلـكـ تـكـونـ مـبـاحـةـ ،ـ لـأـنـ الـوـسـائـلـ حـكـمـ غـايـاتـهـ .ـ

(للبحث صلة)

^١ الإنجاب في ضوء الإسلام ، ص ٣٥٠.

^٢ أخرجه ابن حبان في صحيحه وصححه ، وأخرجه أحمد في مسنده والطبراني في الأوسط وقال الميثمي : إسناده حسن (تلخيص الخبر ، ج ٣ ، ص ١١٦ ، نيل الأوطار ، ج ٦ ، ص ٢٢٢).

^٣ أخرجه أحمد في مسنده وأشار إليه الترمذى وقال في مجمع الزوائد : فيه جرير العامري وقد وثق ، وأخرجه الشافعى في مسنده ، (تلخيص الخبر ، ج ٣ ، ص ١١٦ ، نيل الأوطار ، ج ٦ ، ص ٢٢٢).

مناهج ابن جرير الطبرى في الاستدلال بالشواهد الشعرية

الأستاذ عبد القادر أحمد عبد الله الحمزى *

المالخص :

إن هذه المقالة تتناول الشواهد الشعرية الواردة في تفسير الطبرى وتحث حول منهجية الطبرى في استدلالاته بالشواهد الشعرية . تقسم المقالة إلى ثلاثة محاور ، بداية بحياة الطبرى كمحور أول ، ثم كتابه في التفسير (جامع البيان في تأويل آي القرآن) والأوضاع التي دفت الإمام إلى كتابته والمشكلات التي واجهته أثناء الكتابة ، كمحور ثان . أما المحور الثالث فيتناول منهجه في الاستدلال بالشواهد الشعرية مع التركيز على مصادر الإمام في استدلالاته بالشواهد الشعرية ، وكيفية استخدامه للشعر في تفسيره لبيان معاني القرآن . وأهمية هذا الاستخدام في تفسير القرآن .

اعتمدت هذه المقالة المنهج الاستقرائي والتحليلي للوصول إلى تحديد مناهج ابن جرير الطبرى في استخدامه للشواهد الشعرية في تفسير القرآن الكريم .

مقدمة :

تختلف المناهج المتبعه في الدراسات العربية القديمة باختلاف مجالاتها ، كما أن الدراسات والبحوث في شتى أنواع العلوم تعتمد على تحديد المنهجية التي يسير عليها الباحث حديثاً وقدماً ، ولقد تطورت هذه المناهج مع تطور العلوم والحياة في شتى نواحيها ، وقد كان للمنهج الذي تقوم عليه الدراسة أهمية تمنع قيمة ذاك العمل من عدمها .

وقد يتبادر الأكاديميون المحدثون منهجيات العلماء القدامى ، خاصةً مناهج العلماء البارزين في مجال الفكر والفلسفة ، وإذا لاحظنا الكتب القديمة نرى منهجهية مؤلفيها بارزة للعيان ، ومن أبرز هؤلاء العلماء الكبار المفسر الذي لقب بأبي المفسرين الإمام أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى ، وقد كتب الطبرى كثيراً حتى ملأ الدنيا بعلمه وشغل الناس بتعلم علمه ، وقد كبر على الناس قراءة كتبه بسبب كثرة

* جامعة صنعاء ، اليمن .

مؤلفاته وعظمتها وعدد صفحات كتبه المنشورة .

تحدد هذه الدراسة منهجية الطبرى في استدلالاته الشعرية لتفسير القرآن الكريم من خلال دراسة هذه الشواهد الشعرية التي استخدمها في كتابه (جامع البيان في تأويل آي القرآن) ، حيث تقوم هذه الدراسة باكتشاف طرق الطبرى ومنهجيته في الاستدلال بالشواهد الشعرية في تفسيره ، وترى أن الطبرى يستدل في بعض الأحيان بالقرآن نفسه وفي بعض الأحيان يستدل بالأحاديث النبوية أو أقوال الصحابة أو أقوال التابعين أو أمثلة العرب أو بالأشعار التي عرفت بديوان العرب .

المحور الأول : نبذة عن حياة الإمام الطبرى :

ولد الإمام الطبرى في آمل ، عاصمة إقليم طبرستان ، البلد الذي يقع في شمال إيران وجنوب بحر قزوين ، كانت ولادته عام ٢٢٤ هـ إبان العصر العباسي الذهبي الذي امتدت فيه رقعة الإسلام الذي رافقه تطور في شتى جوانب الحياة اقتصادياً وسياسياً واجتماعياً وثقافياً .

استقى الطبرى تعليمه في هذه الحقبة الذهبية وقد شد والده على عضده وكان مرشدًا له ، فقد حرضه على التعليم ، فنهل الطبرى من شتى مناهل العلوم في كل المجالات حتى أمكن للإمام الطبرى أن يحفظ القرآن في عمر السابعة ، وكان الطبرى إمام قومه في الصلوات مذ تجاوز الثامنة من عمره ، أما في التاسعة فقد توجه إلى دراسة كتب الأحاديث النبوية ، وعلم رجال الأحاديث ورواته .

يقول الدكتور محمد الزحيلي^١ : " ظهرت على الإمام الطبرى في طفولته سمات النبوغ الفكري وبدأ عليه مخايل التفتح الحاد والذكاء الخارق والعقل المتقد والمليكتات الممتازة وأدرك والده ذلك فعمل على تمييتها وحرض على الإفادة والاستفادة منه ، فوجه إلى العلماء ومعاهد الدراسة وساعده على استغلال كل هذه الطاقات دون أن يشغله بشيء من شؤون الحياة ومطاليبها ، خصص له للإنفاق على العلم والتعلم ، وسرعان ما حقق الطبرى أحلام والده وزاد له في آماله وطموحه "^٢ .

^١ أستاذ وفقىء ، يحمل شهادة الدكتوراه في الفقه المقارن بدرجة امتياز مع مرتبة الشرف الأولى (١٩٧١م) من كلية الشريعة والقانون في جامعة الأزهر . وكان عميد كلية الشريعة والدراسات الإسلامية في جامعة الشارقة (٢٠٠٦-٢٠٠٦م) . ألف الكثير من الكتب في الفقه وأصول الفقه والتاريخ الإسلامي وتاريخ الأديان وغيرها من المواضيع .

^٢ الزحيلي ، محمد الطبرى ، ص ٣٨ .

ولو نظرنا إلى حياته الدراسية فهي تمتد منذ أن نطق باللغة في طفولته إلى أن توفي ، لأن الطبرى طلب العلم من المهد إلى اللحد حقا ، بدأ تعليمه في بيته ثم في قريته آمل ، بعد تلك التربية الابتدائية تجول في المدن المجاورة لطبرستان ، واستمر بحثه عن العلم الذي أخذه من خلال انتقالاته وأسفاره في البلاد كبلاد الري المجاورة التي أخذ من علمائها الحديث والتاريخ واللغة والتفسير . أما في عام ٢٤١ هـ فقد رحل الإمام طالباً العلم إلى العراق التي كانت مقر الدولة العباسية في ذلك الزمان ، ملقاءاً علمائها الأجلاء والكبار كأحمد بن حنبل الذي وافته المنية قبل لقائه به ، فأقام في بغداد مدة يتعلم من علمائها ، ثم سعى بين البصرة والكوفة ساماً الأحاديث ودارساً الفقه من مختلف المذاهب ، ثم رجع إلى بغداد مرة أخرى ليكمل تحصيله العلمي الذي بدأه من قبل . وقد لزم الشام قليلاً لكي لا يفوّت من علمائها شيئاً ، فمكث في دمشق التي كانت منارة للعلم حيث كانت عاصمة للدولة الأموية ، ثم تجول في بيروت ومدن أخرى تناول فيها علوم القرآن والسنة . ثم وجد وقتاً لزيارة مصر وبعد ذلك عاد إلى بلده . وما كان سفره منقطعاً في طلب العلم حتى استقر في بغداد إلى أن توفي في يوم ٢٦ شوال ٣٢١ هـ في عهد الخليفة العباسى المقىدر بالله .
يبين هذا الجهد الكبير من الإمام الطبرى شوقه في جمع العلوم ، والذي أعطى ثروتها للأخرين ، ويبدو أنه نسي أو تنسى أن يتزوج ، لعله قد عزم على أن يعطي للعلم وقتاً كثيراً بترك الزواج .

يعد تفسير الطبرى من أقدم التفاسير ، وأول تفسير يبدأ من فاتحة الكتاب وينتهى بسورة الناس (أي من أول القرآن إلى آخره ، حسب ترتيب المصحف الشريف) ، وبما أنه ألف في القرن الثالث الهجرى فإنه يعد من أهم الكتب في تفسير القرآن الكريم ، ولهذا التفسير قبول عظيم عند أهل السنة والجماعة ، فهو نتاج جهد عظيم ، قد أمضى الإمام الطبرى ثلاث سنوات للتفكير في اختيار منهج هذا الكتاب فيروى عن الطبرى أنه لما أراد أن يؤلف تفسيره قال لأصحابه : " أتشطون لتفسير القرآن ؟ " ، قالوا كم يكون قدره ؟ قال : " ثلاثة ألف ورقة " ، فقالوا : هذا مما تفنى الأعمار قبل تمامه فاختصره في نحو ثلاثة آلاف ورقة . وحدث في تاريخ الطبرى أيضاً مثلاً حدث في تفسير الطبرى أنه اختصره

إلى ثلاثة آلاف ورقة رغم أنه قدره في إرادته ثلاثون ألف ورقة . وقال بعدها قرآن يختصر " إنا لله ... ماتت الهم " ^١ .
يقسم التفسير إلى سبعة مجلدات (وهذه النسخة نشرت في
١٩٩٤ م) ، كما يأتي :
المجلد الأول : من بداية سورة الفاتحة إلى الآية ٢٢٢ من سورة
البقرة .

المجلد الثاني : من الآية ٢٢٣ سورة البقرة إلى نهاية سورة النساء .

المجلد الثالث : من بداية سورة المائدة إلى نهاية سورة الأعراف .

المجلد الرابع : من بداية سورة الأنفال إلى نهاية سورة النحل .

المجلد الخامس : من بداية سورة الأعراف إلى نهاية سورة النمل .

المجلد السادس : من بداية سورة القصص إلى نهاية سورة الجاثية .

المجلد السابع : من بداية سورة الأحقاف إلى نهاية سورة الناس ^٢ .

المحور الثالث : منهج الإمام الطبرى في الاستدلال :

المنهج في اللغة هو الطريق الواضح الجلي ^٣ ، وهو خطوة منظمة لعدة عمليات ذهنية أو حسية بغية الوصول إلى كشف حقيقة أو البرهنة عليها ^٤ . إذا طالعنا كتب الطبرى نرى أنها مبنية على منهجية عظيمة تعكس شخصيته ، وقد أولى الباحثون والدارسون كتب الطبرى أهمية بالغة في دراستها بداية من كيفية جمع معلوماته وبياناته ، وكيفية جمعه بين الأقوال المتعارضة المختلفة ، ولا سيما تركيزهم على كيفية قيامه باستنتاج المباحث . فالمحور الثالث يرشدنا إلى بعض المناقشات حولها .

إن لابن جرير الطبرى مناهج حديثة في عصره ، فقد ابتدع المنهج الذي يتبعه الأكاديميون من الغرب حديثاً ، بينما كان منهجه في القرن الثالث الهجرى ، مما يعني أنه سبق عصره بقرون ، فقد كان نابغاً عقرياً ، حيث شرع الإمام الطبرى بعد نيته تأليف التفسير بتحديد

^١ ياقوت الحموي ، معجم الأدباء .

^٢ الإمام الطبرى ، تفسير الطبرى - جامع البيان عن تأويل آى القرآن ، مؤسسة الرسالة ، ١٩٩٤ م .

^٣ ابن المنظور ، لسان العرب .

^٤ Team, Almaany . "تعريف ومعنى منهج في معجم المعاني الجامع - معجم عربي .Almaany.com, www.almaany.com/ar/dict/ar-ar" .

الموضوع الرئيسي ، فمثلاً قد يكون موضوع الإمام إما آيةً وإما حديثاً وإنما رأيا ، فيبدأ بجمع المعلومات الكافية للموضوع بالاستقراء والاستقصاء ، وهذا ما يعرف في البحوث الحديثة بجمع المعلومات . ثم ينظر فيه ويقوم بدراستها من الكليات إلى الجزئيات . وبعد ذلك يحلل النصوص بالمقارنة حتى يمكن له استخراج النتيجة من البحث^١ .

الاستدلال :

ومن أعظم منهgiاته الاستدلال ، فلم يكن الطبرى يقول شيئاً إلا بدليل دامغ يدعم رأيه ، حتى في تفسيره كان يبين الآيات بإتيان بعض الأدلة ، أو يستدل للترجيح بين المعنيين أو لتكثير المعنى الخاطئ .

أما الاستدلال في اللغة فهو : طلب الدليل على شيء ، والدليل عند العرب هو المرشد والموصل إلى المطلوب^٢ . وقد استعمل العرب كلمة الاحتجاج والاستشهاد بمعنى الاستدلال ، فالاحتجاج هو إقامة الحجة على الرأي والاستشهاد هو ذكر الشاهد ، ولكن الاستشهاد أخص لأنها أدلة نقلية ، كما أن الطبرى استعمل الاعتلال والانتزاع في نحو معنى الاستدلال^٣ .

المفسرون يستعملون الأدلة ويبينون منهاجهم في مقدمات تفاسيرهم . ليس لأحد حرية أن يفسر القرآن كما يشاء . لأن القرآن نفسه يورد بعض البراهين لمن يدعى ولم يستطع أن يأتي بالدليل أنه سيكون ذلك ظناً ، وهناك إمكانية على كونها علمًا غير ثابت . (فإن كنتَ في شكٍّ ممّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَ مِنَ الْمُمْتَرِينَ) ^٤ .

تفسير القرآن بمجرد رأيه حرام في نظر العلماء كما أن الدليل الباطل يكون حراماً في تفسير القرآن ، الإتيان بالأدلة مع إخفاء أدلة أخرى أيضاً نوع من المحرم في مجال التفسير . وقال النووي : " ثم المفسرون

^١ الحنطور ، محمود محمد ومحمد الجواهري ، نبيل . قراءة في مقدمة تفسير الإمام الطبرى . التفسير والمفسرون ، مجموعة موضع مداد . تاريخ النشر : ٢٠١٨/٠٨/٢٣ ، تاريخ التحميل ٢٠١٨/٠٢/١٢ (قطعة صوتية) <http://midad.com/lesson/287886>

قراءة - في - مقدمة - تفسير - الإمام - الطبرى .

^٢ جمهرة اللغة ، ١١٤/١ ، لسان العرب ، ٢٦٢/٧ .

^٣ جامع البيان ، ٤٢٢/١ .

^٤ سورة يونس : ٩٤ .

برأيه من غير دليل صحيح ، أقسام ... منهم من يفسر ألفاظه العربية من غير وقوف على معانيها عند أهلها ، وهي مما لا يؤخذ بالسمع من أهل العربية وأهل التفسير ، ولا يكفي في ذلك معرفة العربية وحدها ، بل لا بد منها من معرفة ما قاله أهل التفسير فيها ؛ فقد يكونون مجتمعين على ترك الظاهر ، أو على إرادة الخصوص ، أو الإضمار ، أو غير ذلك مما هو خلاف الظاهر^١ . يوضح النبووي أن مجرد العلم باللغة غير مك足 للتفسير لأن التفسير يحتاج إلى معايير مختلفة ومتخصصة له ، فلا بد للمفسر أن يفتتش آراء المفسرين الكبار أو المفسرين الذين عاشوا قبله ، وأن يطالع فيما جاءت من قبل أهل العلم في هذا الموضوع . هناك أدلة أخرى من أقوال العلماء الكبار مثل الماوردي على أن من يفسر القرآن موافقاً لرأيه ولم يأت بأي شاهد على ادعائه ولو كان شرحه صواباً قد أخطأ في الاستدلال . يقول الماوردي (ت : ٤٥٠ هـ) "معناه : أن من حمل القرآن على رأيه ، ولم يعمل على شواهد ألفاظه فأصاب الحق ، فقد أخطأ الدليل^٢ . قياماً على هذه الأسس أتقن الطبرى في الاستدلال ، ولم يستدل في أي موضوع من المواضيع إلا لحاجة . وقد استعمل أنواعاً من الطرق للاستدلال ، وسنأتي عن تفاصيله فيما يلي .

مصادر الاستدلال :

يتتوسط الاستدلال في التفاسير حسب السياق ، يستعمل المفسرون الأدلة إما لبيان التراكيب وإما لبيان المعاني ، ومن أهمها مصادر أدلة المعاني . الألفاظ تتقسم إلى المفردة والمركبة ، كل جملة تصنع من الكلمات ، فتحليل الكلمات أو المفردات أولى من تحليل المركبات والجمل لأن المركبات لا يمكن تحليلها إلا إذا حللت المفردات المتكونة منها التراكيب . فتحليل هذه الألفاظ لا بد من المصادر القيمة ، فهنا تقسم المصادر الواردة في تفسير الطبرى إلى بعض أقسام مثل الاستدلال بلغة العرب (مثل العادات المتبعة في مشهور كلامهم وخطابهم وأشعارهم) والاستدلال بالسنة والاستدلال بالاعتقاد والسيرة والتاريخ والأخبار ، وسنبحث في هذه المقالة عن لغة العرب فقط .

^١ الزهلاوى ، لينايف بن سعيد بن جمعان الاستدلال في التفسير . مركز التفسير للدراسات القرآنية ، ص ٧١ .

^٢ الماوردي ، النكت والعيون ، المجلد الأول ، ص ٣٥ .

أقسام الاستدلال من لغة العرب :

يستعمل الإمام الطبرى أقوال العرب والأشعار المشهورة الشائعة لدى العرب للاستدلال ، خاصة الأشعار التي نظمت في لغة قريش والأشعار التي تم تنظيمها من الشعراء الجاهليين والإسلاميين . وكذلك يستعمل الأسانيد المختلفة أيضاً . بما أن القرآن نزل في لغة الإنسان وهو يخاطب الإنسان ، واختيرت اللغة العربية كلفة القرآن بما أن لها مكانة مرموقة لدى اللغات بسيماتها اللغوية ، امتازت هذه اللغة بأشعارها ، والعرب حفظوا لغتهم بأشعراهم ، لنا أمثلة عديدة من النبي والصحابة لتحريضهم على الشعر العربي ، وبؤكد ذلك ما روى عن عبد الله بن عمر قال : " وفدي العلاء بن الحصين على النبي صلى الله عليه وسلم فقال : " أتقرا من القرآن شيئاً ؟ " فقرأ " عبس " ثم قال هل تروي من الشعر شيئاً ؟ " فأنسده :

حي ذوي الأضفان سببي قلوبهم
إإن دحسوا بالكره فاعف تكرما
إإن الذي يؤذيك منه سماعه
فقال النبي صلى الله عليه وسلم : " إن من الشعر حكماً وإن من البيان سحراً " .^١

ولنا مثل آخر لتجوية الشعر من قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه : " عليكم بديوانكم لا تضلوا ، قالوا وما ديوانتنا ؟ قال : شعر الجاهلية ، فإن فيه تفسير كتابكم " .^٢

الإمام الطبرى لم يتبع الاستدلال من قبله ولكن تمسك مسلك الصحابة ، يوجد أمثلة كثيرة لاستدلال الصحابة وأهل السلف لألفاظ القرآن ، ولنا مثال من قبل ابن عباس رضي الله عنه عندما سئل عن " فومها "

^١ القرطاجي ، ابن رشيق . العمدة في محسن الشعر وآدابه . الكتب الإلكترونية ، ص ١٥٣

<https://www.noor-book.com/en/ebook-%D8%A7%D9%84%D8%B9%D9%85%D8%AF%D9%87-%D9%81%D9%8A-%D9%85%D8%AD%D8%A7%D8%B3%D9%86-%D8%A7%D9%84%D8%B4%D8%B9%D8%B1-%D9%88%D8%A7%D8%AF%D8%A7%D8%A8%D9%87--pdf>
29-04-2021

^٢ الزمخشري ، الكشاف عن خفاء التزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، دار المعرفة ، بيروت / ٢٣٠ .

من سورة البقرة أحب أنها الحنطة . وتمسك بيت أحىحة بن الجلاح :
قد كنت أغنى الناس شخصاً واحداً ورد المدينة عن زراعة فوم
ثم بيّن ابن حير أن تسمية الحنطة والخبز جمِيعاً فوماً من اللغة
القديمة . هكذا كان ابن حير الطبرى يناقشه الألفاظ من أصلها ثم
يتناول إلى تصريفاتها واشتقاقاتها ، وبعد ذلك يستعرض الأدلة المحتاجة
إليها من الأشعار وأقوال العرب .

استعمل الطبرى أكثر من ألفي بيت في تفسيره مستدلاً على أنها تبين
معانى القرآن ، وقد استعملها في بعض الأحوال لتصحيح المعانى كما أنه
استعمل ذلك في بعض الأحوال لإبطال المعنى ، يُعرف نايف الزهلاوى
الاستدلال أنه من لغة العرب يعرف بإقامة لغة العرب دليلاً لتصحيح المعانى
وقبولها أو إبطالها وردها أو الإبانة بدليل اللغة عن صحة المعانى و بطلانها ^١ .

يستعمل الشواهد الشعرية في بعض الأحوال لإثبات المعنى ،
يستشهد الإمام الطبرى بشعر رؤبة بن العجاج ليستدل معنى " عاث " من
الآية القرآنية (ولا تعثوا في الأرض مفسدين) ^٢ . يقول عاث يعيث عياثاً
وعيوثاً وعيثاناً كل ذلك بمعنى واحد :

وعاث فيما مستحل عاث مصدق أو تاجر مقاعد
ويعني بقوله عاث فيما : أفسد فيما

النوع الثاني من الاستدلال هو للترجيح أو الجمع بين القولين :

قد يكون لكلمة واحدة معنيان أو أكثر ، فيعود الطبرى إلى
كلام العرب ، أي خاصة الشعر العربى ولنا مثل من سورة البقرة . الآية رقم
٢٢٨ (والمطائقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قراء) ^٣ ، تجري في معنى القراء
مناقشات عديدة ، ولكن لا يوجد حديث واضح يوضح معنى القراء . فاختلف
العلماء في معناها ، فيورد الطبرى أقوال الصحابة والتابعين الذين يقولون أنها
وقت الطهر كما أنه يأتي باثارهم اللذى يتبعن فيها آراءهم بما يدل على أنها
وقت الحيض ، بعدما أورد الإمام جميع الأقوال الواردة من السلف حول

^١ الزهلاوى ، نايف بن سعيد ، الاستدلال في التفسير دراسة في منهج ابن حير الطبرى في
الاستدلال على المعانى في التفسير . مركز التفسير للدراسات القرآنية ، ص ٣٧٩ .

^٢ سورة البقرة : ٦٠ .

^٣ سورة البقرة : ٢٢٨ .

الموضوع يأتي بآيات ليبين وليجمع بين الأقوال المتعارضة . يبين بالشعر أن أصل القرء هو الوقت لمجيئ الشيئ المعتمد لمجيئه لوقت معلوم ولإدبار الشيئ المعتمد إدباره لوقت معلوم . ولذلك قالت العرب : " أقرأت حاجة فلان عندي بمعنى دنا قضاؤها وجاء وقت قضائها وبيورد قول الشاعر :

إذا ما الشريا وفـد أقرأت أحس السماـكان منها أـفول

وـقـيل : أـقرـاتـ الـريـحـ . إـذـاـ هـبـتـ لـوقـتهاـ كـمـاـ قـالـ الـهـذـلـيـ :

شـنـئـتـ العـقـرـ عـقـرـ بـيـ شـلـيلـ إـذـاـ هـبـتـ لـقارـئـهاـ الـرـياـحـ

وـسـمـىـ آخـرـونـ مـنـ الـعـربـ وـقـتـ مـجـيـئـ الـطـهـرـ قـرـءـ ،ـ إـذـ كـانـ وـقـتـ
مجـيـئـهـ وـقـتـاـ لـإـدـبـارـ الدـمـ دـمـ الـحـيـضـ ،ـ وـاقـبـالـ الـطـهـرـ الـمـعـتمـدـ مجـيـئـهـ لـوقـتـ
مـعـلـومـ ،ـ فـقـالـ فـيـ ذـلـكـ الـأـعـشـىـ مـيمـونـ بـنـ قـيسـ :

وـفيـ كـلـ عـامـ أـنـتـ جـاشـمـ غـزـوـةـ تـشـدـ لـأـقـصـاـهاـ عـزـيمـ عـزـائـكـاـ

مـورـثـةـ مـالـاـ وـفـيـ الذـكـرـ رـفـعـةـ لـماـ ضـاعـ فـيـهاـ مـنـ قـرـوـءـ نـسـائـكـاـ

وـبـيـانـ هـذـهـ الـأـيـاتـ كـشـاهـدـ لـبـيـانـ مـعـنـىـ الـقـرـءـ يـفـسـرـ الـطـبـرـيـ عـلـىـ

أـنـ مـعـنـاهـ هـوـ إـقـبـالـ الشـيـئـ الـمـعـتمـدـ عـلـيـهـ وـإـدـبـارـهـ .

الـخـاتـمـةـ :

ركـزـ الـبـاحـثـ فـيـ هـذـهـ الـدـرـاسـةـ عـلـىـ منـاهـجـ الـاستـدـلـالـ الـتـيـ وـرـدـ فـيـ
تـفـسـيرـ الـطـبـرـيـ ،ـ وـبـيـنـ فـيـهـ وـجـيـزةـ عـنـ حـيـاةـ اـبـنـ جـرـيرـ الـطـبـرـيـ وـعـنـ تـفـسـيرـهـ
جـامـعـ الـبـيـانـ فـيـ تـأـوـيلـ آـيـ الـقـرـآنـ .ـ وـفـهـمـ الـبـاحـثـ مـنـ الـدـرـاسـةـ أـنـ الـاستـدـلـالـ
شـيـئـ ضـرـوريـ فـيـ التـفـسـيرـ ،ـ يـسـتـعـمـلـ إـلـيـمـامـ الـطـبـرـيـ الـكـلـمـاتـ مـثـلـ
الـاسـتـدـلـالـ وـالـاحـتجـاجـ وـالـاسـتـشـهـادـ وـالـاعـتـلـالـ وـالـانـزـاعـ لـإـيـرـادـ الـأـدـلـةـ وـالـحجـجـ
وـالـبـراـهـينـ ،ـ أـورـدـ الـطـبـرـيـ اـسـتـدـلـالـهـ لـلـإـلـبـاتـ وـالـتـصـحـيـحـ وـفـيـ بـعـضـ الـأـحـوـالـ
لـلـتـرجـيـحـ بـيـنـ الـمـعـنـيـنـ الصـحـيـحـيـنـ كـمـاـ اـسـتـعـمـلـهـ فـيـ بـعـضـ الـأـحـوـالـ لـإـبـطـالـ
مـعـنـيـ الـمـضـادـ لـأـلـفـاظـ الـقـرـآنـ .ـ وـقـدـ اـسـتـعـمـلـ الـطـبـرـيـ أـكـثـرـ مـنـ أـلـفـيـ بـيـتـ
لـلـاسـتـدـلـالـ بـمـاـ أـنـ فـيـهاـ الـشـعـرـاءـ الـجـاهـلـيـوـنـ وـالـمـخـضـرـمـوـنـ وـالـإـسـلـامـيـوـنـ .ـ
وـكـثـيرـاـ مـاـ اـسـتـدـلـ فـيـ شـواـهـدـ الـشـعـرـيـةـ أـشـعـارـ اـمـرـيـ القـيـسـ .ـ وـمـنـ الـجـدـيرـ
بـالـذـكـرـ أـنـ مـنـهـجـيـتـهـ فـيـ التـفـسـيرـ وـالـاسـتـدـلـالـ مـنـهـجـيـةـ مـعـظـمـةـ ،ـ وـقـابـلـ
لـلـتـعـاـلـمـ بـهـاـ حـتـىـ فـيـ الـدـرـاسـاتـ الـمـعاـصرـةـ .ـ

وـالـلـهـ وـلـيـ التـوـفـيقـ ،ـ فـإـنـهـ نـعـمـ الـمـوـلـىـ وـنـعـمـ النـصـيرـ .

شعيّة الصوم لدى الديانات المختلفة : اختلاف في التقاليد ، والتقاء في المعاني

الأستاذ علاء الدين محمد الهدوى فوتزمي *

المدخل :

لم يعرف البشر منذ بدء الخليقة أي ديانة إلا وبها عبادة الصوم ، فالصيام شعيّة دينية مهمة في جميع الأديان الكبيرة في العالم ، وقد تختلف طقوسه وتقاليده من دين لآخر ، لكن أهدافه الدينية والروحية مثل التزهد والعبادة تتشابه في جميعها ، والصوم هو أحد المشتركات بين الأديان الكبرى في العالم ، ولا يمكن استبعاد الصوم من الإسلام والمسيحية واليهودية إضافة إلى البوذية والهندوسية ، ففي جميع الديانات كانت الحاجة إلى "التقلص وتركيز الحياة على ما هو أساسي " ، يشرح توماس ليمين ، المسؤول عن الحوار بين الأديان في أبرشية الروم الكاثوليك في مدينة كولونيا ، في حوار : " إن الأمر يتعلق باكتشاف أبعاد جديدة في حياة البشر أو اكتشاف العلاقة مع رب " .

وعلى الرغم من اختلاف مواقفه وفلسفته وطقوسه من دين لآخر ومن عقيدة لأخرى ، فإن الصيام المتعارف عليه بين البشر ، يظل – وكما تعرفه اللغة – إمساك أو كف عن الطعام سواءً انقطاع لفترة محددة ، أو انقطاع عن أصناف معينة ، والشراب والشهوات ، وأحياناً صوم عن الكلام ، حيث يقوم مفهوم الصوم بشكل عام على فلسفة الانقطاع عن الشهوات الجسدية كالطعام والشراب والعلاقات الجسدية الحميمة أو كل عمل أو قول قد يسيئ للقيم الإنسانية السامية ، ومن الواضح أن الصيام لم يكن موجوداً فقط في الرسالات السماوية ، بل كان موجوداً في معظم الحضارات الإنسانية القديمة ، كما ارتبط ارتباطاًوثيقاً بالغريزة

* كاتب وباحث أكاديمي - جمهورية الهند .

^١ إدريس عتيّة ، الصوم في الديانات المختلفة ، جريدة العربية ، المملكة العربية السعودية ، أبريل ٢٠١٨ م .

والصفاء النفسي والذهني والنقاء الروحاني والعلاج البدني والتطهير ومكافحة الأمراض التي قد يتسبب فيها الإسراف بشكل عام ، والصوم هو أحد أركان الدين الإسلامي الخمسة ، لكنه قديم ، ويعود لزمن سبق ظهور الإسلام ، في ما يلي لمحات تاريخية عن ثقافة الصوم لدى الديانات المختلفة .

الصوهر عند المصريين القدماء :

كانت تشعريات الصيام عند الفراعنة (المصريون القدماء) مختلفةً متعددةً ، تجمع بين الفرض والنافلة ، والامتناع التام عن الطعام والشراب أو الامتناع المتقطع ، لكنها جميعاً كانت تقع تحت بند التقرب للإله ، مارس المصريون القدماء العديد من الطقوس بهدف التقرب من الآلهة ونيل رضاها وشكراً لها ، مثل الاحتفال بأعياد كعيد الربيع وعيد الحصاد وعيد وفاة النيل لتطهير النقوس من الذنوب والأخطاء التي قد تغضب الآلهة ، مما يوجب عليهم طلب الغفران ونيل بركات ونعم الآلهة بطقوس مختلفة ، ذكر باحثون أن الصوم من بينها ، لكن الصوم عند المصريين القدماء مختلف عليه بين علماء الآثار والباحثين ، فمنهم من يشير إلى ممارسة طقوس خاصة من قبل الكهنة فقط ، وأخرون يتحدثون عن طقوس صوم يمارسها عامة الناس ، لكن بينهم من يُبعد صلة تلك الطقوس بالصيام ، باعتبار أن السياق الذي تمارس فيه لا علاقة له بالصوم كما في الأديان السماوية ، كان الصوم حسب بعض الباحثين ، يبدأ من طلوع الشمس إلى غروبها ، أما فتراته فيعتقدون أنها مختلفة ، وتتراوح بين ثلاثة أيام إلى ٧٠ يوماً يمتنع خلالها ممارسوها عن الطعام والشراب والجماع ، وفقاً للبعض ، هناك عيد للصوم مخصص لإرضاء أرواح الأموات المحروميين من الطعام ، ويعتقد البعض الآخر أن هناك نوعاً آخر من الصوم لا يسمح فيه بتناول الطعام باستثناء الماء والخضروات لمدة ٧٠ يوماً .

وأما صيام الكهنة أنواع ، ويرتبط بعبادة إله الشمس ، من طلوع الشمس إلى الغروب ، ويشمل الامتناع عن الأكل والنساء ، وقد يصل إلى نحو الأربعين يوماً ، وكان هناك نوع آخر من الصيام يخص كهنة المعابد ، حيث كان يجب على طالب الالتحاق بالمعبد " خادم المعبد " الامتناع عن شرب الماء لسبعة أيام ، ويمر الكاهن في صيامه بمراحل

مختلفة ، تبدأ بصوم عشرة أيام عن اللحم والنبيذ ، ثم يعقب ذلك تلقينه وإجابتة المتعلقة بالمسائل المقدسة ، ثم يتبعها بصوم عشرة أيام أخرى ، كما وجدت وصية من وصايا التجيم في مصر القديمة ، توصي من يخاف من النحس والسحر ، أن يمتنع عن الأكل والشرب في اليوم التاسع عشر من الشهر الرابع من فصل الفيضان ، وهو الفصل الذي يقابل شهر " كيهك " في الشهور القبطية .

الصوم عند اليهود :

وتعد الديانة اليهودية من الديانات الإبراهيمية ، وبحسب كتاب اليهود ، التوراة ، يجب الصوم فقط في يوم كيبور^١ (الفران) ، وهو اليوم الذي نزل فيه النبي موسى من سيناء للمرة الثانية ، ومعه لواح الشريعة ، ويستمر يوم الغفران مدة ٢٦ ساعة ، وهو " أقدس أيام الأعياد والشعائر الدينية اليهودية " نفي هذا اليوم ينأى فيه اليهود عن ملذات الحياة والأمور الدنيوية ، ويكرسونه للعبادة ومحاسبة الذات ، ويصوم الناس مع غروب الشمس حتى حلول الظلام في اليوم التالي تقرباً إلى الله ليغفر لهم ذنبهم وخططيتهم ، أما المتدینون من اليهود ، فيذهبون إلى حائط البراق (حائط المبكى) في جنوبى المسجد الأقصى من أجل الصلاة قبل بدء الصوم ، ومن بين القواعد التي يتبعها اليهود ، لا صوم أيام السبت ، أو في أيام المهرجانات أو الاحتفالات الدينية ، أما يوم الغفران فهو استثناء من هذه القواعد ، ولا صوم في شهر نيسان أو للمرضى أو للحوامل .

وهناك تفسيرات حديثة لليهودية ، توجب على الحاخام أو المعلم أو رجل الأمن أو المسؤولين من أصحاب القرارات ، عدم الصوم كي لا يتأثر أداؤهم لواجباتهم ، كما أن هناك صوماً آخر غير ملزم وهو اختياري كمن يصوم لنيل مراده أو للتکفير عن خططيته أو لطلب الرحمة من رب أو الشكر على نعمة أو غيرها من الأسباب التي لا تستلزم الإعلان عنها من قبل الصائم .

الصوم عند اليهود من أقدم التشريعات اليهودية بعد شعيرة تقديم القرابين في الميكل والتي اختفت وحل محلها الصلاة ، ولشعيرة الصيام

^١ أحمد إبراهيم الشريف ، الصوم في الأديان السماوية ، جريدة اليوم السابع ، القاهرة ، مايو ٢٠١٩ م.

مكانة قوية في الديانة اليهودية ، وهو يشبه إلى حد كبير الصيام في الإسلام ، بالامتاع عن الجنس والطعام والشراب وكل مشين من قول أو فعل ، بالإضافة إلى تحريمهم للاستحمام وانتعال الأحذية الجلدية وغسل الأسنان ، وتغيير الملابس والعمل والتعطر في أثناء الصيام .

ووردت شريعة الصيام في التوراة بأشكال مختلفة ، ولكن إجمالاً ، هناك نوعان من الصيام في اليهودية : صيام فردي للتکفير عن خطيئة أو ذنب ارتكبه الفرد ، وصيام جماعي وفيه يصوم اليهود جميعاً عند وقوع كارثة عامة ، كهزيمة في حرب أو ذكرى الاضطهاد والتشريد أو دمار محصول أو أي بلاء عام يقع باليهود .

ويندرج هذا النوعان تحت تصنیفات الصيام في اليهودية ، الصوم الفرض كصوم يوم الغفران ، ويبدأ قبل غروب اليوم التاسع من تشرين "رأس السنة العبرية" بربع ساعة ، ويستمر إلى ما بعد غروب شمس العاشر من تشرين بنحو ربع ساعة ، بحث تصل مدة الصيام إلى ٢٥ ساعة متتالية ، ويُطلق عليه يوم "كيبور" ، ويرتدى فيه الرجال وشاحاً أبيض ، وترتدى النساء ملابس بيضاء ، وصوم النفل ، كصوم يوم ٩ من أغسطس ، في خراب الهيكل المقدس ، والصيام التطوعي كصوم يومي الاثنين والأربعاء ، وصوم الحاخامات .

هذا بالإضافة للصيام الأربعين المذكور في التوراة ، والذي يصومه اليهود المتدينون ، والمعروف أيضاً بالصوم الموسوي نسبة إلى نبي الله موسى عليه السلام ، وفيه يصوم اليهود أربعين يوماً تأثراً بالفترة التي صامها النبي موسى عليه السلام في أثناء تلقيه الوحي بالوادي المقدس طوى .

الصيام الأبدي لليهود :

فقد حرم العهد القديم على اليهود بعض أنواع الطعام تحريماً تماماً ، وحرم بعضها في ظروف خاصة ، أما الصيام الأبدي لليهود ، فقد حرم العهد القديم على اليهود بعض أنواع الطعام تحريماً تماماً ، وحرم بعضها في ظروف خاصة ، ومنها :

القربان : الذي يقدم عن طريق كاهن في بعض مناسبات كالسلامة أو الخطيئة ، وتحرق القرابين كلها ، ويحل للكاهن فقط الأكل من القرابين ، فيما يحرم على باقي اليهود تناولها .

بعض الحيوان : فقد حرم عليهم من حيوان البر كل حيوان مجتر أو مشقوق الظفر ، وحرم عليهم من حيوان البحر كل ما ليس له زعناف أو حرشف ، وحرم عليهم أنواع من الطير كالنعام والحدأة والغراب ، وكل ما يمشي على بطنه من الحيوانات .

الشحم : جاء في العهد " كل شحم ثور أو ماعز لا تأكلوا " .

الميّة : حرم عليهم ميّة ما حل طعامه ، وحرمت شحوم الميّة وما افترس .

النجل : مثل الدم المسقوف .

الخمر : ورد تحريم الخمر عند الدخول في خيمة الاجتماع التي ضربت لهم في أثناء التيه في الصحراء ، وإن لم يوجد نص في العهد القديم " يحرم الخمر تحريماً تاماً ، إلا أن وصية " يونا داب " لبنيه في سفر " أرحايا " بآلا يقربوا الخمر .

أما صيام الصمت ، فقد عرفه اليهود قبل المسيحيين ، وقدعني كثير من كتبةأسفار العهد بتسجيل هذا النوع من الصوم ، الذي يمثل توبة قد تشفع لصاحبه .

وقد مارسته السيدة مريم البتوح بعد ولادة طفلها عيسى عليه السلام ، كما ذكر القرآن ولم يذكر اليهود عليها صيتها ، بل أنكروا أنها وأشارت للصبي في المهد وأحالت الكلام إليه .

الصوم عند المسيحيين : الفناء والتکفير عن الذنوب :

الصيام عند المسيحيين هو الأقرب إلى صوم المسلمين ، والصوم لدى المسيحيين كباقي الديانات ، غرضه التقرب إلى الله طلباً للمغفرة ، وعادة ما تجتمع الصلاة مع الصيام لمن يتلزم به ، ويصوم المسيحي محبة بالله ورغبة في التقرب منه ، وجاء في سفر دانيال : " فوجهت وجهي إلى الله السيد طالباً بالصلاوة والتضرعات وبالصوم والمسح والرماد " ، وللصوم مكانة كبيرة لدى المسيحيين ، فهو ارتباط روحي بالرب والتزام منهم بتعاليم المسيح منذ نشأته حتى ظهوره ثانية كدليل إيمان به ، لم يحدد الإنجيل أوقاتاً أو شهوراً ثابتة للصوم ، بل تقوم كل طائفة أو كنيسة بتحديد موعد الصوم لاتباعها ، ولا توجد طريقة أو أوقات محددة للصوم يتبعها المسيحيون في مختلف أنحاء العالم ، بل هناك اختلافات بين الطوائف المسيحية ، وتحدد الكنيسة موعد

الصوم قبل عيد الفصح بأربعين يوماً ، وحسب تقاليد كل كنسية ، ويتمتع المسيحيون عن تناول الطعام مدة اثنى عشرة ساعة في اليوم على الأقل ، من بداية اليوم وحتى انقضاء المدة ، وهذه ليست قاعدة ثابتة ، فهناك مسيحيون يصومون وقتاً أطول .

على الرغم من أن الغاية من الصيام التطهر من الذنوب والخضوع لله ، فإن طقس الصيام في المسيحية ، يختلف عن الصيام في الإسلام ، حيث يسمح للصائم المسيحي بعد فترة انقطاع ، بالطعام والشراب بشرط الابتعاد عن الأطعمة الحيوانية ومنتجاتها والألبان ومشتقاتها ، ويعود هذا المنع للكنيسة ، حيث تمنع الكنيسة الروسية أكل اللحوم والسمك في أثناء الصيام ، في حين تسمح الكنيسة الكاثوليكية في إنجلترا لأتباعها بأكل اللحوم والسمك في أيام الصيام ، عدا أيام محددة ، كالأربعاء والجمعة والخميس المقدس .

أما العلاقة الجنسية بين الزوجين - وباتفاق كل الطوائف المسيحية - فلا تفسد صيام المسيحي ، ومع ذلك فالصيام في الملة المسيحية يختلف بين طائفة وأخرى ، ففي الكنيسة الأرثوذك司ية يعني الامتناع لفترة معينة عن الطعام ، يتناول بعدها الصائم أطعمة بقولية ونباتية خالية من أي مشتقات أو مكونات حيوانية ، أي أن فترة الانقطاع جزء أساسي من الصوم ، كذلك يشتمل طقس الصوم عند الأرثوذكس على صنوف التقشف والنسك وقمع الأهواء والشهوات .

وأيام الصيام هي :

- الصوم الكبير ، ويكون من صوم الأربعين المقدسة ، وهي الأربعين التي صامها المسيح بالإضافة لصوم أسبوع الآلام .
 - صيام يومي الأربعاء والجمعة من كل أسبوع .
 - صوم الرسل الذي يسبق عيد الرسل .
 - صوم عيد الميلاد ، ومدته ٤٣ يوماً ، والذي يبدأ في ١٦ هاتهور " ٢٥ من نوفمبر " وينتهي في ليلة عيد الميلاد " ٦ من يناير " .
 - صوم السيدة العذراء ، ومدته ١٥ يوماً . صوم يونان أو " نينوي " ، ومدته ٣ أيام ، ويكون قبل الصوم الكبير بأسابيع .
- تصوم الطائفة الكاثوليكية صيام الصمت ، ويختلف الشعب عن

الكهنة ، فهو عند الشعب منوط بالرغبة وفي أيام قليلة محدودة ، والأمر فيه ميسر ، حيث لا يتعارض مع العمل الذي يؤديه الفرد ، أما عند رجال الدين فهو لازم ويرتبط بأيام لها أعياد ومناسبات دينية .

أما الطائفة الكاثوليكية فلا يوجد لديهم إلا الصوم الكبير والذي يبدأ من منتصف الليل إلى منتصف النهار ، ثم يُسمح للصائم بأكل أطعمة خالية من المنتجات الحيوانية ، ويبدأ الالتزام بالصيام من بعد سن الخامسة عشر ، وينتهي الالتزام عند ٦٠ عاماً للرجال ، و٥٠ للنساء .

وتصوم الطائفة الكاثوليكية صيام الصمت ، ويختلف الشعب عن الكهنة ، فهو عند الشعب منوط بالرغبة وفي أيام قليلة محدودة والأمر فيه ميسر ، حيث لا يتعارض مع العمل الذي يؤديه الفرد ، أما عند رجال الدين فهو لازم ويرتبط بأيام لها أعياد ومناسبات دينية .

أما الكنيسة الإنجيلية فيشأبها صيام أتباعها صيام المسلمين ويكون بالانقطاع عن الطعام والشراب والشهوات ، كما يكون الصيام سرياً حيث يعتبر الصيام في الفكر الإنجيلي نوعاً من التعبد السري لتحقيق أغراض خاصة بالتنورة وإعادة العلاقة مع الله .

أما الكنيسة البروتستانتية ، فقد قالت بعد عدم فرضية الصيام وأعلنته كرغبة شخصية بعد تأكيدها بأنه عبادة سامية ، فلم تحددها بموعد زمني ولا عمر ، ولا امتناع عن أي نوع من أنواع طعام .

الصوم في الهندوسية :

وتحتفل طقوس شعيرة الصيام عند أتباع هذه الديانة ، باختلاف الإله المتبوع ، وباختلاف المناطق التي يوجدون فيها ، ففي جنوب الهند يصومون من شروق الشمس إلى مغريها عن الطعام في حين يسمح لهم شرب السوائل ، ودائماً ما يصومون يوم الثلاثاء من كل أسبوع ، أما في المناطق الشمالية فيسمح لها في أثناء الصيام بتناول الفاكهة والحليب فقط ، وهناك ما يُعرف بصيام الفصول ، حيث يمتهنون فيه عن تناول الطعام من غروب الشمس لشروقها لمدة تسعة أيام في بداية كل فصل ، وهناك من يصوم حسب الإله ، فمن يتبع الإله "شفيا" يصوم يوم الاثنين طول العام ، وأتباع الإله "فيشنو" في المناطق الشمالية ، يصومون يوم الخميس طول العام ، وتكون لهم طقوس خاصة ، حيث يستمعون لقصة قبل تناول

الإفطار ، ويلبسون ثياباً صفراء ويحضرون المائدة من أطعمة ذات لون أصفر ، تقدس النساء شجرة الموز في هذا اليوم وتقوم بريها .

يوجد نوع من الصيام الشائع في بعض مناطق الهند وهو الخاص بصيام المرأة المتزوجة من أجل سلامة وصحة زوجها وأملاً في إطالة عمره ، كما يصومون نصف كل شهر قمري ، ويتناولون الفاكهة والأطعمة النباتية ويمتعمون عن تناول اللحوم ولا يفطرون إلا بعد أن يأتي الهلال الجديد ، وبشكل عام فإن الهندوس في أثناء صيامهم ، يمتهون عن تناول أي لحوم مهما اختلف المذهب المتبعة ، كما يوجد نوع من الصيام الشائع في بعض مناطق الهند وهو الخاص بصيام المرأة المتزوجة من أجل سلامة وصحة زوجها وأملاً في إطالة عمره ، حيث تتناول الإفطار عندما ترى القمر من خلال غربال .

الصوم في اليانية :

هي إحدى الديانات المتبعة عن الهندوسية وتنشر في بعض مناطق الهند ، أتباع الديانة اليانية يصومون عن تناول الطعام والشراب وموعده إفطارهم هو غروب الشمس ، هناك بعض أنواع الصيام الغريبة عندهم مثل الامتناع عن تناول الأطعمة المتعددة باستثناء العدس .

الصوم في البوذية :

يصوم البوذيون من شروق الشمس إلى غروبها في أربعة أيام من أيام الشهر "القمري" ، وتدعي أيام "اليوبودانا" ، وهي الأول والتاسع والخامس عشر والثاني والعشرون ، ويشمل الصوم الامتناع عن الطعام وعن العمل إطلاقاً حتى عن إعداد الطعام ، لذلك يقومون بإعداد طعام الإفطار مسبقاً قبل شروق الشمس لتناوله بعد غروب الشمس .

ويقوم البوذيون بهذا الصيام بهدف خلق نوع من الانضباط للمساعدة على التأمل والصحة الجيدة ، حيث يعتمد مبدأ الصيام في البوذية على كبح جماح الشهوة الجسمية ، التي تدفع إلى ملذات الدنيا وترد البشر في مهاوي العقاب الدنياوي بعذاب أمراض الجسد ، والآخراوي بالنار .

الصوم في الصائبية :

يعتبر الصيام الركن الخامس من أركان عقيدة الصايحة الذين ورد ذكرهم في القرآن الكريم في قوله تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرٌ هُمْ عِنْ رَبِّهِمْ

وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزُنُونَ)^١ لدى الصابئة صومان : صوم كبير وصوم صغير ، حيث يصومون في أيام معدودات ٣٦ يوماً كل عام . موزعة على مدار أشهر السنة ، عن الطعام وتحديداً عن تناول لحوم الحيوانات ومشتقاتها وعن شرب الخمر ، ويتمتعون عن نحر وقتل أي حيوان وعن كل ما يشين الإنسان وعلاقته مع الرب من فواحش ومحرمات ، ويفطرون في يوم عيدهم على لحوم الخراف ، كما يستحب صيام كل يوم أحد وأربعاء وخميس من كل أسبوع ، وصيام أيام شهر ناقق القمري "رمضان" ، صيام نافلة ، ويستحب عن الصابئة صيام الأيام التي تظهر فيها ظواهر فلكية كالكسوف والكسوف .

الصوم في السيخية :

لا تشجع هذه الديانة أتباعها على الصوم إلا في حالات طبية معينة ، يأتي هذا الأمر من اعتقاد رجال الدين أن هذه العبادة لا تضيق أي فائدة على روحانية الصائم .

الصوم في الإسلام :

يعد الصوم في الإسلام فريضةً وركناً أساسياً من أركان الإسلام الخمسة ، ويكون بالامتناع والإمساك عن الطعام والشراب والشهوات والجماع ، وارتكاب ما يشين من فعل أو قول ، ويببدأ من الفجر وحتى غروب الشمس ، ويصوم المسلمون في شهر معلوم حسب التقويم الهجري وهو شهر رمضان ، ويببدأ الصيام برؤية هلال الشهر ، ويختلف موعده سنوياً حسب التقويم الميلادي ، وكما أن الهدف به التقرب إلى الله وكسب الحسنات فضلاً عن تطهير النفس من الذنوب ، فشهر رمضان هو شهر العبادة والصلوة وتلاوة القرآن .

ويثبت القرآن فريضة الصيام في سورة البقرة حيث تقول إحدى آياتها : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)^٢ ، ويحدد المسلمون أول أيام رمضان بعد رؤية الهلال ليكون موعد بدء الصوم ، الذي يستمر عادة ٣٠ يوماً ، وبعدها يأتي عيد الفطر ،

^١ سورة البقرة ، الآية : ٦٢ .

^٢ سورة البقرة ، الآية : ١٨٣ .

ويستطيع المسلمون الذين لم يكن بمقدورهم الصوم شهر رمضان أو بعضه لأسباب صحية ، أن يعوضوها بعد العيد في أي يوم يناسبهم ، وفي عيد الفطر ، يتبادل المسلمون التهاني والزيارات وعادة ما يتصالح وقتها المتخاصمون ويفتحون صفحات جديدة ، وعدا عن شهر رمضان ، هناك مناسبات أو أيام أخرى يصوم فيها المسلمون مثل ليلة النصف من شعبان .

أما صيام النفل أو التطوع في غير رمضان ، فهو على مدار العام ، بدايةً من صيام السبت من شوال ، وصوم يوم عرفة لغير الحجاج ، وصوم يومي الإثنين والخميس من كل أسبوع ، وصيام الأيام القرمية "الثلاثة البيضاء" من كل شهر عربي ، ويُحرم على المسلمين صيام يومي الفطر والأضحى ، كما يحرم صيام أيام التشريق الثلاث ، ويكره صيام يوم الشك "يوم رؤية هلال رمضان" ، وصوم عرفة للحجيج .

الخاتمة :

وفي نهاية المطاف أقول : إن الله تعالى بين الغاية والهدف من الصيام بقوله : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)^١ والصوم عبادة روحية تربوية تهذيبية ليس المراد منها صيام البطون عن الطعام ، وإن كان للجسم نصيبه من فوائد الصوم ، وإنما المطلوب أيضاً صيام الجوارح عن الحرام ، فالصوم وحده لا يصلنا إلى السماء ، إذ لا بد من محبة والمحبة أم كل فضيلة ، ويمكن تشبيه الصوم بالطائر ، ولكي يطير لا بد من جناحين وهما الصلاة والصدقة ، وقال القديس يوحنا فم الذهب / ذهبي الفم : "أشحذ منجلك الذي أتلفته الشراهة ، اشحذه بالصوم" .

لائحة المصادر والمراجع :

١. كتاب "في الحوار اللاهوتي : اللاهوت المقارن - ١" ، قداسة البابا شنودة الثالث .
٢. كتاب "روحانية الصوم" - قداسة البابا شنودة الثالث .
٣. كتاب "بستان الروح - ٢" ، الأنبا يؤانس (أسقف الغريغورية المتنبي) .

^١ المرجع نفسه .

توفيق الحكيم رائد الفن المسرحي في الأدب العربي الحديث

(الحلقة الأولى)

بعلم : د . محمود حافظ عبد الرب مرزا *

من المسلمات أن فن المسرحية هي أحد الفنون الغريبة الحديثة التي وصلت إلى الأقطار العربية في منتصف القرن التاسع عشر الميلادي ؛ إذ لم يكن هذا الفن وذلك بعناصره الحديثة وخصائصه المتعددة معروفاً في الأدب العربي من ذي قبل . ومع ذلك ، كان لدى العرب مواد خاصة كانت صالحة وكافية لإعداد مسرحية من الطراز الأول ؛ حيث تحتوي المقامات والحكايات العربية القديمة على بعض العناصر الحوارية والتمثيلية التي تعدد حقاً من مقومات الفن المسرحي ، بيد أن الأدباء العرب لم يهتموا بها بتاتاً ، بل ظلوا منشغلين عنها وفرجين كل الفرح بالشعر الغنائي أو الوجданى .

ولا مراء في أن مصر هي واحدة من أبرز الدول العربية التي تعتبر سباقةً في الفنون الأدبية دائماً ، إذ إنها لم تأل جهداً في تلقيح الأدب العربي بآثار الفكر الغربي على الإطلاق ، غير أن الفن المسرحي قد ظهر في بداياته في أرض لبنان ثم انتقل إلى مصر ، فترعرع ونهض واكتمل فيها من شتى الجوانب .

وفيما يخص أدباء الأدب العربي الحديث في مصر والذين اهتموا بهذا الفن اهتماماً كبيراً جداً ، إذ برع بعضهم فيه كل البراعة ، فهم كثيرون ، ومن أبرزهم توفيق الحكيم ، وأحمد شوقي ، ونجيب الريhani ، ومحمد تيمور ، ومحمود تيمور وغيرهم .

يُعدُّ الكاتب والأديب المصري ، توفيق الحكيم أحد أبرز كتاب المسرحية في الأدب العربي . وفي الواقع ، هو إحدى العلامات البارزة في الحياة الأدبية والفنكية والثقافية في العالم العربي ؛ غير أنه لم يكن كاتباً مسرحياً فحسب ، بل كانت له جولات وصولات في عدة مجالات أدبية رئيسة ، وكان له شأن كبير فيها ، ومن أهمها القصة القصيرة

* أستاذ مساعد ، قسم اللغة العربية ، جامعة الله آباد .

والرواية والمقالات وغيرها ، ويُعدُّ الحكيم أيضًا أحد أبرز مؤسسي المسرح الذهني ليس على مستوى الوطن العربي فحسب ، وإنما على المستوى العالمي أيضًا .

ولد توفيق إسماعيل الحكيم في محافظة الإسكندرية بحي محرم بك عام ١٩٠٣م^١ ، لأب مصرى ريفي الأصل ، كان يشتغل في سلك القضاء في قرية الدنجات^٢ ، إذ كان يعُدُّ من أثرياء الفلاحين ، لأنه ورث من أمه ضيعة كبيرة جداً ، ولأم تركية أرستقراطية ، كانت نجلة أحد الضباط الأتراك المتقاعدين؛ حيث كانت صارمة الطباع ، تعتز بعنصرها التركى أمام زوجها المصري اعتزاراً كبيراً ، وتشعر بكبرياء لا حد له أمام الفلاحين من أهله وأقاربه ، ناهيك عن فخرها بأصالة الدم الذى كان يجري في عروقها^٣ . وكان لأمه واهتمامها به أثر كبير في حياة الحكيم ، فقد سعت منذ نعومة أظفاره إلى عزله عن أترابه من أطفال القرية ، ومنعهم من الوصول إليه؛ حيث تولت مسؤولية تربيته في عقر دارها ، وذلك بمعزل عن العالم الخارجي ، ولعل ذلك ما جعل الحكيم ينغمى في عالمه العقلي الداخلي ، حتى نشأت في نفسه بذور العزلة والخلوة منذ صباحه .

لقد نشأ الحكيم وترعرع داخل أسرة كانت تؤمن بالمعتقدات الشعبية ، وما يتعلق بها من إيمان بالجنة والقوى الخارقة والسحر والتجريم والأحجبة والتمائم^٤ . كما أنه في طفولته المبكرة؛ أي قبل الالتحاق بالمدرسة الإعدادية ، كان يشارك أمه وجده الاستماع إلى أحاديث حكايات ألف ليلة وليلة والقصص والروايات الشعبية العربية الأخرى^٥ ، وكانت أمه معلمه الأولى التي غرسَت في نفسه حب قراءة القصص والروايات والحكايات منذ أيام طفولته ، ليكون ذلك مصداقاً لما قاله أبو تمام :

^١ د . أدهم ، إسماعيل ، د . ناجي ، إبراهيم ، توفيق الحكيم ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، ٢٠١٢م ، ص ٣٧ ، مع أننا نجد أن العديد من المؤلفين يذكرون بأنه من مواليد عام ١٨٩٨م ، والله أعلم .

^٢ ضيف ، شوقي ، الأدب العربي المعاصر ، دار المعرف ، ط ١٠ ، ص ٢٨٨ .

^٣ ضيف ، شوقي ، الأدب العربي المعاصر ، ص ٢٨٨ . والفاخوري ، هنا ، الجامع في تاريخ الأدب العربي ، دار الجيل ، بيروت ، ١٩٨٦م ، ص ٣٩٢ .

^٤ النجار ، محمد رجب ، توفيق الحكيم والأدب الشعبي (أنماط من التناص الفولكلوري) ، عين الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ، ط ١ ، عام ٢٠٠١م ، ص ٢٢ .

^٥ النجار ، محمد رجب ، توفيق الحكيم والأدب الشعبي ، ص ٤١ .

الأم مدرسة إذا أعددتها
أعددت شعباً طيب الأعراق
وتتجدر الإشارة هنا إلى أن توفيق الحكيم قد تعرض في صغره
لوعكة صحية ، إذ كان لهذه الوعكة أثر كبير في تحديد نزعاته
الطفولية أيضاً ؛ حيث يقول :

" لقد ولدت فيما علمت ممتئ الصحة ... ولكن هذه الصحة لم
تدم أكثر من سنوات قلائل ، أربع أو خمس ، ثم ألمت بي الأمراض ...
إني أذكر هذه المرحلة ... يخيل إليّ أن المرض كان مقيناً بجسمي لا
يزول إلا ليعود " ^١ .

وهكذا ، نجد أن هذا المرض قد ألقى بظلاله عليه ، فأصبح
هادئاً لا يميل إلى الألعاب الرياضية البدنية أو الأنشطة التي تتطلب جهداً
بدنياً ولو بسيطاً ، بل أصبح يتوق إلى الألعاب الخيالية ، فكان لكل ذلك
أثر كبير في تكوين شخصيته وتحديد معالمها ^٢ .

لقد بدأ الحكيم يولي اهتماماً كبيراً ويحرص حرصاً بالغاً وبيذل
جهوداً مضنية في التحصيل العلمي منذ نعومة أظفاره ، فحفظ الأدوار
الشعبية ، التي كانت تدور على لسان أفراد الشعب المصري قبيل الحرب
العظمى ^٣ . وفي السابعة من عمره التحق بمدرسة دمنهور الابتدائية ،
ولكن لم تستطع هذه المدرسة في التأثير عليه بشكل ملموس في تحديد
رغباته ، وإشباع ميوله العلمي ، وفتح آفاق جديدة للاندماج في الأنشطة
العلمية المختلفة ، كما اصطدمت المناهج العقلية الجامدة بطبيعة
الحكيم وأفكاره ومخاليطه ، إلا أنه استطاع أن يتجاوز كل ذلك ،
وأكمل تعليمه الابتدائي عام ١٩١٥م ^٤ . وقرر والده أن يدخله في مدرسة
ثانوية ، ولكن لعدم وجود ثانوية في قرية دمنهور أرسله والده إلى القاهرة
وأدخله ثانوية " محمد علي " ليقيم مع أعمامه في القاهرة ^٥ .

وفي تلك الفترة ، قامت ثورة مصرية عارمة في عهد عبد الملك فؤاد
الأول عام ١٩١٩م ضد الاحتلال البريطاني عقب الحرب العالمية الأولى ،
بسبب استياء الشعب المصري من الاحتلال الأجنبي وتمرده عليه ، فاشتعل
لريب الاحتجاجات الشعبية ضد الحكومة المستعمرة في عدد من المدن ، ومن

^١ الحكيم ، توفيق ، سجن العمر ، دار الشروق ، القاهرة ، ط ٢ ، ٢٠٠٨م ، ص ٤٩.

^٢ الحكيم ، توفيق ، سجن العمر ، ص ١٩١.

^٣ د. أدهم ، إسماعيل ، د. ناجي ، إبراهيم ، توفيق الحكيم ، ص ٣٩ .

^٤ د. أدهم ، إسماعيل ، د. ناجي ، إبراهيم ، توفيق الحكيم ، ص ٣٩ - ٤٠ .

^٥ الحكيم ، توفيق ، عودة الروح ، مطبعة الغرائب ، ١٩٣٣م ، ج ٢ ، ٦٥ ص .

أبرزها القاهرة والإسكندرية وطنطا وغيرها ، والتي تزعمها سعد باشا زغلول الزعيم المصري ؛ حيث دعا أبناء البلد إلى ضرورة إقامة حركة قوية ضد السلطات المحتلة للحصول على الاستقلال من الحكومة المستعمرة ، فشارك فيها أبناء البلد من شتى الاتجاهات لأجل تحقيق هذا الهدف النبيل . فحركة هذه الحركة عواطف أديبنا الحكمي أيضا ، وبالتالي أشعلت فيه نار المشاعر الوطنية تجاه بلاده ، فقام أسوة بغيره من أبناء بلاده بالمشاركة في المظاهرات التي قامت احتجاجا على اعتقال سعد زغلول ونفيه إلى مالطا إلى جانب ثلاثة من أعضاء حزب الوفد من قبل السلطات البريطانية ، ونظم أشعارا حماسية تقضي بالروح المعادية للاستعمار ، بيد أن السلطات البريطانية قامت بإلقاء القبض عليه وعلى أعماله بالقاهرة بتهمة مشاركتهم في هذه المظاهرات ، ولكن والده نجح في الإفراج عنهم بعد عناء وترقب طويلين^١ ، وبعدها انتقل توفيق الحكمي إلى عزبة والده بالبحيرة ، وعطلت المدارس في تلك السنة ، ونجح جميع التلامذة بدون امتحان ، فتمكن الحكمي من أن ينجو من موقف سيئ كان يقدم عليه إلا وهو الرسوب المؤكد ، ومن ثم عاد إلى القاهرة لمواصلة الدراسة مجددا ، ونال شهادة البكالوريا عام ١٩٢١م . وبما أنه كان يميل إلى الأدب ويشعر برغبة شديدة تجاه مختلف الفنون والأداب - لأنه كان إلى الأدب أميل وأعقل به ، بل كان يعشق الموسيقى والمسرح والتئثيل إلى حد يفوق الخيال - أراد أن ياتحق بكلية الآداب ، ولكن أئمّي يكون له ذلك ، لأن والده كان من رجال النيابة والقضاء ، لهذا حرست الأسرة على أن ينهاج توفيق نهج والده ، فالحقه والده بمدرسة الحقوق . ودرس توفيق في مدرسة الحقوق ، بيد أن هوايته وحبه وشغفه بالأدب لم ينقرض ، بل ظل في هذه المدرسة طالبا دون المستوى المطلوب ، لأن الفن المسرحي كان قد استولى على جميع مشاعره بل تغلب عليه ، ولم يكن من السهل عليه التخلص من هذه النزعة سريعا . ومع ذلك ، تخرج توفيق من كلية الحقوق سنة ١٩٢٥م^٣ .

وبعيد ذلك ، أحـسـ والـدـ بـأنـ الحـكـيمـ سـيـجـرـفـهـ تـيـارـ النـزـواتـ ، فـبـدـأـ يـفـكـرـ فيـ طـرـيـقـ يـخـلـصـهـ مـنـهـ ، وـأـشـارـ عـلـيـهـ صـدـيقـهـ ، أـحـمـدـ لـطـفـيـ السـيـدـ ، بـإـرـسـالـهـ إـلـىـ بـارـيسـ لـكـيـ يـسـتـكـمـلـ درـاسـتـهـ القـانـوـنـيـةـ ، وـيـحـصـلـ

١ـ دـ.ـ أـدـهـمـ ،ـ إـسـمـاعـيـلـ ،ـ دـ.ـ نـاجـيـ ،ـ إـبـرـاهـيـمـ ،ـ تـوـفـيقـ الـحـكـيمـ ،ـ صـ ٤٤ـ .ـ

٢ـ دـ.ـ أـدـهـمـ ،ـ إـسـمـاعـيـلـ ،ـ دـ.ـ نـاجـيـ ،ـ إـبـرـاهـيـمـ ،ـ تـوـفـيقـ الـحـكـيمـ ،ـ صـ ٤٥ـ .ـ

٣ـ دـ.ـ أـدـهـمـ ،ـ إـسـمـاعـيـلـ ،ـ دـ.ـ نـاجـيـ ،ـ إـبـرـاهـيـمـ ،ـ تـوـفـيقـ الـحـكـيمـ ،ـ صـ ٤٥ـ –ـ ٤٦ـ .ـ

على الدكتوراة ، فقاد توفيق بالفعل إلى باريس لنيل شهادة الدكتوراة في الحقوق ، ومكث فيها ثلاثة سنوات ، ولكن هيئات هيئات : ليس للإنسان ما تمنى ؛ فقد ظل الحكيم في باريس غارقاً في الأجراء الفنية ، ولم يستطع تجاوز الحقوق^١ .

عكف توفيق الحكيم في باريس على قراءة القصص والمسرحيات الغربية ، وأصبح منهمما في أفكاره وتصوراته الذاتية بعيداً عن القانون كل البعد ؛ بحيث يكثر ارتياح قاعات المسرحيات ، والتبرج على المسارح ويزداد صلة بالموسيقى والتمثيل ، حيث أدى كثرة تردداته لصالات المسرح إلى وقوعه في حب فتاة كانت تجلس على شباك التذاكر في مسرح الأوديون بباريس . فكان يجلس في مقهى أمام المسرح ، حتى يستطيع من خلاله أن يتحدث إليها بلغة العيون التي كثيراً ما تترك انطباعات قوية ، ويظل مستغرقاً فيها لأنها أحبتها جداً جداً . ومن جراء هذا الوضع الذي مر به قام بتأليف مسرحية باسم "أمام شباك التذاكر" عام ١٩٢٦م ، وهي أول مسرحية فنية له والتي ألفها باللغة الفرنسية ، ثم ترجمتها إلى اللغة العربية الأديب والصحافي الشهير أحمد الصاوي محمد عام ١٩٣٥م ، وتم نشرها بمجلة اسمها "مجلتي" وخرجت إلى حيز الوجود عام ١٩٣٧م ، وذلك ضمن مجموعة مسرحيات هذا الأديب^٢ .

ومن أهم ميزات هذا الأديب ، أنه كان بإمكانه أن يقرأ المسرحيات المؤلفة باللغة الفرنسية ويفهمها دون الحاجة إلى ترجمة لها ، بحيث كانت تصعب على غيره من أبناء جلدته كثيراً ، فقد كان مولعاً بقراءتها قادراً على ترجمتها إلى العربية بكل ما تعنيه الكلمة .

ومن الجدير بالذكر أن توفيق الحكيم لم يقتصر على الحصول على هذا الفن عن طريق القراءة والتبرج والتصفح والدراسة فحسب ، بل انطلق إلى الشارع العام وأصبح يسعى لتكوين صداقات مع أهل الخبرة والمهرة في هذا المجال ، مما ساعدته في إتقان جمال الآداب العالمية ومعرفتها حق المعرفة . وهكذا ، قضى توفيق الحكيم السنوات الثلاث في باريس منفتح العقل والفكر ، فاستطاع أن يظفر بثمار العلم ويكسب المهارات الإبداعية المطلوبة للفن المسرحي ، وتمكن من أن يعي أهميته ، ويدرك سبل تعزيز قدراته الفنية ، ويحيط بجميع الفنون التي يتم تمثيلها

١ ضيف ، شوقي ، الأدب العربي المعاصر في مصر ، ص ٢٨٩ .

٢ د . أدهم ، إسماعيل ، د . ناجي ، إبراهيم ، توفيق الحكيم ، ص ٤٨ .

على خشبة المسرح وعرضها بشكل جيد .

وعاد الحكيم من إقامته بباريس إلى بلاده مصر عام ١٩٢٨ ،
خالي الوفاض ، صفر اليدين ، فما يخص نيل الشهاده ، فاستقبله أهله
كخائب لم يظفر ببغيته ، بيد أنه عاد وهو يحمل ثقافة عظيمة ، ويلم
بالأدب والفن ، فكان حقاً بحراً لهذه العلوم بسبب عمق مطالعته للكتب
المعنية بالأدب العالمي . وعكف بعد عودته على قراءة الأدب العربي برؤية
جديدة ، وكأنه أراد أن يكون للمسرح المصري والعربي بصفة عامة
قاعدة أساسية ينطلق منها ، ألا وهي التراث الأدبي القديم بما فيه من
أساطير حيث يقول : " ما أرجوه لمسرحنا هو أن يكون له عندما نقول
مسرح المصري أو المسرح العربي من نفس المدلول الذي يتadar إلى الأذهان
عندما نقول مثلاً المسرح الإغريقي " ^١ .

وبعد عودته من باريس ، ألحقه والده في سلك القضاء عام ١٩٣٠ ،
وظلّ فيه لغاية عام ١٩٣٤ ، ومن ثم عُين بعدها مفتشاً للتحقيقات بوزارة
المعارف عام ١٩٣٤ ، ومن ثم مديرًا لإدارة الموسيقى والمسرح بالوزارة عام
١٩٣٧ ، وظلّ بها لغاية عام ١٩٣٩ حتى قدم استقالته منها عام ١٩٤٤
ليتفرّغ لفننه كلياً ^٢ .

وعندما تقلّد عميد الأدب العربي طه حسين زمام الإشراف على
وزارة المعارف ، قام بتعيين توفيق الحكيم مديرًا لدار الكتب المصرية ،
وذلك عام ١٩٥١ ، وهكذا ، تولى الحكيم منصب العضو في المجلس
الأعلى للآداب والفنون عام ١٩٥٤ ، وعيّن في السينييات عضواً بمجلس
تحرير مؤسسة الأهرام ، ثم مندوباً للجمهورية العربية المتحدة في منظمة
اليونسكو بباريس سنة ١٩٥٩ ، ومن ثم عاد إلى مصر في ١٩٦٠ تاركاً
وراءه هذا المنصب ^٣ ، وفي عام ١٩٦١ ، حصل على قلادة الجمهورية من
الرئيس المصري ، جمال عبد الناصر ، ونال جائزة الدولة التقديرية في
الآداب ، ووسام العلوم والفنون من الدرجة الأولى ، وظلّ حتى وفاته في
القاهرة عام ١٩٨٧ عن عمر يناهز ٨٩ عاماً ^٤ .

(للبحث صلة)

^١ د. أدهم ، إسماعيل ، د. ناجي ، إبراهيم ، توفيق الحكيم ، ص ٩ .

^٢ د. أدهم ، إسماعيل ، د. ناجي ، إبراهيم ، توفيق الحكيم ، ص ٥٣ .

^٣ ضيف ، شوقي ، الأدب العربي المعاصر ، ص ٢٩٤ .

^٤ الحديدي ، عبد اللطيف محمد السيد ، صورة المرأة في مسرح توفيق الحكيم ، دار
السعادة للطباعة ، مصر ، ١٩٨٨ م ، ط ١ ، ص ٥٤ .

كتاب الآثار للإمام أبي يوسف رحمه الله :

نفحة نظامية لعالم الإسلامي

د . سعيد بن مخاشن *

إن مجلس إحياء المعارف النعمانية جمعية البحث والتحقيق التي أنشأتها كوكبة من علماء الجامعة النظامية بحيدرآباد الدكن ، للمحافظة على أمهات الكتب للفقه الحنفي ، واقتتناء نفائس المخطوطات من مختلف خزانات العالم ، ثم نشرها بعد البحث والتحقيق والتعليق عليها ، إن فكرة إرساء قواعد هذا المجلس كانت تختل في صدور علماء الجامعة النظامية وتشرئب على ألسنتهم وتهيج في قلوبهم منذ سنين طويلة رغبة في إنشائه ونظرا إلى خطورة أمره ، وعظم فائدته ، وشدة حاجة الأمة الإسلامية إليه ، قاموا بتكوينه وتجسيده يوم الجمعة ٣٠ ربى الآخر عام ١٣٤٨هـ المصادر ٤ ديسمبر ١٩٢٩م في رحاب الجامعة النظامية .

ذكر الإمام أبو الوفاء الأفغاني رحمه الله في مقدمة "النكت" عن دافعة تأسيس "مجلس إحياء المعارف النعمانية" قائلاً : " ولما أحسننا لجنة إحياء المعارف النعمانية لإشاعة كتب أصحابنا المتقدمين كالإمام أبي يوسف والإمام محمد رضي الله عنهما فتشنا خزانات العالم لنظرر بكتبهم ، وراسلنا علماء بلاد شتى ليفيدونا بما لهم من علم بتلك الكتب القيمة والجواهر الثمينة ... " .

"كتاب الآثار" للإمام أبي يوسف رحمه الله :

يعتبر كتاب الآثار لأبي يوسف رحمه الله من المراجع القيمة للباحثين في تخصص علوم الحديث الشريف على نحو خاص ومعظم الكتابات الفقهية والإسلامية بصفة خاصة ، حيث يدخل كتاب الآثار لأبي يوسف في

* أستاذ مساعد بقسم اللغة العربية وآدابها ، جامعة مولانا آزاد الأردية الوطنية ، البريد الإلكتروني : sayeed_makhashin@yahoo.com

^١ شمس الأئمة السرخي : النكت ، تحقيق : أبو الوفاء الأفغاني ، حيدرآباد - الهند ، مطبعة لجنة نشر العلوم الإسلامية ، ١٣٧٨هـ ، ص ١ .

إطار مجال تخصص علم الحديث ، وله صلة بالمجالات الأخرى ولا سيما علوم الفقه والتفسير ودراسات السيرة النبوية والثقافة الإسلامية .

قبل أن يقوم المجلس بنشر كتاب الآثار كان كتاب الخراج للإمام أبي يوسف رحمه الله كتاباً وحيداً متداولاً بين الأوساط العلمية لكن مجلس إحياء المعرفة النعمانية قد تشرف بتقديم الكتاب الآخر للإمام أبي يوسف رحمه الله في الأوساط العلمية والشعبية وهو "كتاب الآثار" .

وقال الإمام أبو الوفاء الأفغاني في مقدمة "كتاب الآثار" لأبي يوسف : "أما بعد ، فإن لجنتنا إحياء المعرفة النعمانية" التي غرضها إشاعة كتب المتقدمين من أئمتنا ، أرادت أن تنشر "مسند الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان ابن ثابت الكوفي رضي الله عنه" ، تصنيف تلميذه القاضي الإمام أبي يوسف يعقوب بن إبراهيم الأنباري رضي الله عنه " ^١ .
 رسال الرسائل إلى بلاد شتى للحصول على المخطوطات :

يقول الإمام الأفغاني رحمه الله عن الرسائل التي كتبها إلى مختلف البلدان للحصول على المخطوطات والمؤلفات النادرة وللعثور على مخطوطة كتاب الآثار : "بحثنا عن نسخة منه في البلاد الإسلامية ، وكتبنا إلى بلاد شتى من الآستانة والشام والهند وعلماء مصر ، فلم نعثر إلا على نسخة واحدة في دار الكتب المصرية ، كتبنا إلى مديرها الأستاذ الكبير محمد أسعد براده بك فأرسلها إلينا مشكورة" ^٢ .

يقول الإمام الأفغاني رحمه الله عن عمله وطريق البحث والتحقيق ونسخ هذا الكتاب : "إن لجنتنا إحياء المعرفة النعمانية" التي غرضها إشاعة كتب المتقدمين من أئمتنا أرادت أن تنشر "مسند" الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي رضي الله عنه ، تصنيف تلميذه القاضي الإمام أبي يوسف يعقوب بن إبراهيم الأنباري رضي الله عنه .
 بحثنا عن نسخة منه في البلاد الإسلامية ، وكتبنا إلى بلاد شتى من الآستانة والشام والهند وعلماء مصر ، فلم نعثر إلا على نسخة واحدة في دار

^١ أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم الأنباري : كتاب الآثار ، تحقيق : أبو الوفاء الأفغاني ، بيروت - لبنان ، دار الكتب العلمية ، ص أ .

^٢ أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم الأنباري : كتاب الآثار ، تحقيق : أبو الوفاء ، بيروت - لبنان ، دار الكتب المصرية ، ص ١ .

الكتب المصرية ، كتبنا إلى مديرها الأستاذ الكبير محمد أسعد براده بك فأرسلها إلينا مشكورة . فألفينها من أحسن النسخ خطأً وصحةً ، ييد أن أوراقها فيها تقديم وتأخير ، وفي بعضها طمس ، وفي آخرها نقص ، ففكرت فيه طويلاً ورتبته ، فتبين بعد الترتيب أن بعض الأوراق ساقطة وأن "كتاب النكاح" و "أكثر الإيمان" و "كتاب الحدود" و "الشهادة" ساقطة ، وأما نقصه من الآخر فأظنه يسيراً ، ومع هذا فانت ترى آثار الطهارة في الصلاة ، وآثار النكاح في الطلاق ، وآثار أبواب شتى في غير مظانها ، ولعل هذا - والله أعلم - حصل من بعض الرواة أو النساخ أو من سقوط ألفاظ الأبواب من كثير من المقامات ، كما نبهت عليه في التعليق . فساخت الكتاب من النسخة بعد ترتيبها وتوفرت على تصحيحه ، ولم آل مجھودي فيه مع قلة بضاعتي وقصر باعی ، ومن يستطيع أن يعطي التصحيح حقه ؟

وعلقت عليه تعليقاً وجيزاً ترجمت فيه رجاله ، ومن لم أجد له ترجمةٌ تركته لأنينا المفضل الأستاذ الشيخ رضوان محمد رضوان^١ وكيل اللجنة بمصر ، وما طمس منه سودته بعد مراجعة المسانيد والتفكير الطويل ، وما لم يظهر لى تركته للأخ المذكور ، كان الله له . وبحثت فيه عن لغة الحديث وسنته من تعزيز الضعيف ، والاستشهاد له ، ووصل المعلق والمنقطع ، وتركتحقيق السنن في كثير من المقامات خشية التطويل ، ولاشتغالي بالتدريس وغيره .

وتكلمت فيه على فقه المتون ، ونقلت أكثر فقهه من كتاب "الأثار" و "المؤطا" وكتاب "الحجۃ على أهل المدينة" و "كتاب الصلاة" للإمام محمد بن الحسن ، ومن "كتاب الخراج" للإمام أبي يوسف ، و "المبسوط" للإمام السرخسي ، و "الهداية" و "فتح القدير" وغيرها . وأما حل لغاته فمن كتب اللغة الشهيرة ، مثل "مجمع بحار الأنوار" ورمزه "مجمع" ، و "المغرب" ورمزه "مغ" ، وقاموس المجد ورمزه "ق" ، و "المنجد" ورمزه "منج" ، وما سواها صرحت بأسمائها .

^١ لم يكن لدى من الوقت متسع ولا من المراجع ما فيه كفاية ، فرجوته فضيلة أستاذنا (شيخ الإسلام زاهد) الكوثري القيام بهذا الواجب فأجاب رجائي ، فله مني ومن اللجنة الشكر الجزيل . ولم أتعذر بعد البحث على نسخة أخرى لتسوية ما طمس وتمكيل ما نقص ، ولعلنا نخرجه في الطبعة الثانية في ثوب جديد - رضوان .

وأما ترجمة رجاله فمن "تهذيب التهذيب" ورمزه "ت" ، و "الخلاصة" ورمزها "خ" ، و "تعجيز المنفعة" ورمزه "تع" ، و "ثقات ابن حبان" و "لسان الميزان" ورجال "جامع المسانيد" و "طبقات ابن سعد" و "الإصابة" و "تجريد أسماء الصحابة" و "الاستيعاب" و "تذكرة الحفاظ" وغيرها .

وأما نقل الأحاديث فمن كتب الصاحب ، والسنن ، وسنن الدارمي ، وسنن الدارقطني ، وسنن البيهقي ، ومعاني الآثار للطحاوي ، ومستدرك الحاكم ، والمؤطا ، ومسند أبي داؤد ، وعمل اليوم والليلة لابن السندي ، وعقود الجواهر المنيفة للسيد مرتضى الزبيدي ، و "الدرية" مختصر نصب الراية للحافظ لعسقلاني ، وكنز العمال وغيرها . ومن كتب التفسير : الدر المنثور هذا ، ولم يصنف الإمام الأعظم رضي الله عنه كتاباً في الأخبار والآثار كما صنف الإمام مالك رضي الله عنه المؤطا ، وإنما كان ي ملي فروع الفقه على تلاميذه ، فإذا احتاج إلى دليل مسألة حدثهم عن شيءٍ من الأحاديث المرفوعة والموقوفة وأثار التابعين بالسند المتصل تارة ، وأخرى بلاغاً وتعليقأً أو انقطاعاً . ولم يجلس للتحديث كعادة المحدثين ، ولهذا قلت روايته في الحديث وإلا فهو من الحفاظ المكترين المتقنين ، كتب عن أربعة آلاف من أئمة الحديث أحاديث كثيرة ، روى عن يحيى بن نصر قال : دخلت عليه في بيت مملوء كتبًا ، فقلت له ما هذا ؟ فقال : " هذه الأحاديث ، ما حدثت بها إلا يسير الذي ينتفع به " ^١ . ثم قدم الإمام الشكر الجزيل إلى كل من ساعده في تحقيق هذا الهدف العظيم قائلاً : " وبعد ، فإن "لجنة إحياء المعارف النعمانية" تشكر جميع من ساعدها في إخراج "كتاب الآثار" ، ولا سيما فضيلة الأستاذ الكبير محمد زاهد الكوثري وحضره الأستاذ الكبير محمد أسعد براده بك مدير دار الكتب المصرية " ^٢ .

اسم الكتاب : كتاب الآثار .

المؤلف : أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم الأنباري .

^١ أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم الأنباري : كتاب الآثار ، تصحيح وتعليق : أبو الوفاء الأفغاني ، بيروت - لبنان ، دار الكتب العلمية ، ١٣٥٥هـ ، ص أ - ج .

^٢ نفس المرجع ، ص " و " .

التصحيح والتعليق : الشيخ أبو الوفاء الأفغاني .
الناشر : مجلس إحياء المعرفة النعمانية بحيدرآباد الدكن .
مطبعة : دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان .
عام الطبع : ١٣٥٥ هـ .

يتناول كتاب الآثار أبواباً هامةً فيما يلي :

باب الوضوء – باب الفسل من الجنابة – باب المسح على الخفين –
باب التيمم – باب الأذان – باب افتتاح الصلاة – باب السهو – باب صلاة
العيدين – في الأضحى – باب صلاة الخوف – في غسل الميت وكفنه –
باب الزكاة – باب المناسك والحج – باب لبس المحرم وطبيه – باب القران
وما يجب عليه من الطواف والسعى – باب التمتع – باب المحصر – باب
الصيد – أبواب الطلاق – باب الخيار – باب العدة – باب الإيلاء – باب
الظهور – باب المتعة – باب اللعان – باب العزل – باب القضاء – في
الفرائض – في الوصايا – في الصيام – في البيوع والسلف – في المزارعة –
في المكاتب والمدبر وأم الولد – باب في الغزو والجيش – باب الديات –
باب الأشربة – باب في لبس الحرير والذهب – في الخضاب والأخذ من
اللحية والشارب – في الذبائح والجبين .

مقدمة سعود إبراهيم محمد العثمان على كتاب الآثار :

" الحمد لله رب العالمين ، المتفضل على عباده كل حين ، اصطفى
من خلقه النبيين والصديقين والشهداء والعلماء الربانيين ، وأشهد أن لا إله
إلا الله وحده لا شريك له ولِي الصالحين ، شهادة أرجوها في الحياة وعند
الممات ويوم الدين ، وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله الصادق الأمين ،
السائل : " من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين " .

وبعد ! فإن العلماء هم ورثة الأنبياء ، والأنبياء لم يورثوا درهماً ولا
ديناراً ، ورثوا العلم النافع ، فمن أخذه وحفظه وعمل به وبلغه فقد حاز
الخير الكثير .

فكان مما حبا وشرف به الله عزوجل هذه الأمة أن جعل من
علمائها من يعتني بالقرآن ، والحديث ، والفقه ، واللغة ، ومسائل الإيمان
وأصول الديانات وغيرها من العلوم النافعات ، وهذا فضل الله يؤتيه من
يشاء والله ذو الفضل العظيم .

سئل أبو بكر الشمطاطي : " ما بال الناس تفرقوا ، فطائفة اشتغلت بالفقه و دقائقه ، وأخرى بالحديث و طرقه ، وأخرى بالكلام ومعانيه ، وأخرى بالأدب و محسنه ؟ " فقال : " تلك الطرق إلى الله ، فكل طائفة سلكت منها طريقة " ^١ .

وإن من فضل الله وكرمه على أن ألمني تحقيق هذا الكتاب الجليل ، الذي عز وجوده في المكتبات ، وكثير الطلب عليه ، لما فيه من الفقه العظيم والإسناد العالي الرفيع ، فبدأت في البحث عن مخطوطاته لكن لم يتيسر لي ذلك ^٢ ، فعقدت العزمية على إعادة نشره - وذلك بنسخه و مقابلته على المطبوع و ضبطه قدر المستطاع - والتعليق عليه معتمداً الطبعة التي أخرجها العلامة المحقق الأستاذ أبو الوفا الأفغاني ، والتي قامت بنشره لجنة إحياء المعارف العثمانية ^٣ بحيدرآباد الدكن بالهند عام ١٣٥٥ للهجرة ، راجياً المولى عز وجل أن يجعله خالصاً لوجهه وأن يوفقني لما رجوتة ، وينفع به الأمة ، وأن يتجاوز عما زل به قلمي أو شطح به ذهني ، إنه قريب سماع الدعاء .

وكتبه

سعود إبراهيم محمد العثمان ^٤

وصلى الله تعالى وسلم على خير خلقه سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

^١ أخرجه السلفي في سؤالاته لخميس الحوزي ، ص ٥٨ ، بإسناد جيد .

^٢ فقد عهدت في بادئ الأمر إلى بعض الإخوة أن يصوروها لي المخطوطة المحفوظة بدار الكتب المصرية ، والتي اعتمدتها أبو الوفا ، فلم يسعفي أحد ، وكان آخرهم الأخ المحقق الهمام الشيخ طارق بن ناجي يرحمه الله رحمة واسعة ويجعل درجته في عليين ويحضره مع المديين ، فلقد عهد إلى أحد الإخوة المصريين الثقات لكنه صور مخطوط " كتاب الآثار " لمحمد بن الحسن ، ثم وقعت الثورة المصرية وكان ما كان ، ثم مرض أخونا طارق ، ثم توفي بعد ذلك وانقطعت الاتصالات مع الإخوة في مصر ، ولقد تبعت عمل الشيخ العلامة أبي الوفاء فوجده اجتهد كثيراً في ضبط النص وما كنت - والله أعلم - سأبلغ ما بلغ لو تحصلت لدى المخطوطة .

^٣ العثمانية ، سعيد بن مخاشن .

^٤ أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم الأنباري : كتاب الآثار ، اعتناء وتعليق : سعود العثمان ، بشاور - باكستان ، دار الكتب ، ص ٥ - ٨ .

المحسنات اللفظية في الأدعية القرانية

الأخ بلال أحمد بيع *

بعث الله سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم في الأمة العربية ، التي كانت تفتخر بفصاحتها وتعتز ببلاغتها ، وكان العرب يعدون أنفسهم أمراء البيان ، حيث كانوا يسمون سائر الناس عجماً ، وأيد الله سبحانه وتعالى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقرآن معجزة له في الكلام ، وجاء التحدي بقوله تعالى : (وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَبِّ مَمَّا نَرَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأُتُوا بِسُورَةٍ مِّنْ مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ . فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاقْتُلُو النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحَجَارَةُ أَعْدَتْ لِلْكَافِرِينَ) [البقرة : ٢٣ - ٢٤] .

المحسنات اللفظية في الأدعية القرانية :

(١) **حسن الافتتاح وبراعة الاستهلال :** أحسن الابتداءات ما ناسب المقصود ، ويسمى " براعة الاستهلال " ، وهو أن يكون مطلع الكلام دالاً على غرض المتكلم من غير تصريح ، بل بإشارة لطيفة .

وخير مثال له قوله عزوجل : (الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ . الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ . مَلِكُ يَوْمِ الدِّينِ . إِبَاكَ نَعْبُدُ وَإِبَاكَ نَسْتَعِينُ . اهْدِنَا الصَّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ . صَرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرَ المَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ) [الفاتحة : ١ - ٧] .

تظهر " براعة الاستهلال " في استهلال القرآن بالفاتحة ، فجاءت مشتملةً على مقاصده . يقول السيوطي في الإتقان : " ومن الابتداء الحسن نوع أخص منه يسمى " براعة الاستهلال " ، وهو أن يشتمل أول الكلام على ما يناسب الحال المتكلم فيه ، ويشير إلى ما سبق الكلام لأجلهن والعلم الأسبق في ذلك سورة الفاتحة التي هي مطلع القرآن ، فإنها مشتملة على جميع مقاصده ، فنبه في الفاتحة على جميع مقاصد القرآن ، وهذا هو الغاية في " براعة الاستهلال " مع ما اشتغلت عليه من الألفاظ الحسنة

* الباحث بالجامعة الإسلامية للعلوم والتكنولوجيا ، اونتي بوره بلوامه كشمير ، البريد الإلكتروني : beigbilal@gmail.com

والمقاطع المستحسنة وأنواع البلاغة^١.

(٢) **حسن الختم** : يقول الأستاذ أحمد الهاشمي في كتابه : " هو أن يجعل المتكلم آخر كلامه عذب اللفظ حسن السُّبُكِ صحيح المعنى ، مشعراً بال تمام حتى تستحق براءة المقطع بحسن الختم ، إذ هو آخر ما يبقى منه في الإسماع^٢ ."

مثال حسن الختم في الأدعية القرآنية :

قوله عز وجل : (رَبَّنَا وَآتَنَا مَا وَعَدْنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ) [آل عمران : ١٩٤] .

ويختتم أولو الألباب دعاءهم باستجاز وعد الله تعالى وثوابه والاستغفار من الخزي يوم القيمة وعداته (رَبَّنَا وَآتَنَا مَا وَعَدْنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ) ، وهذا الابتهاج (يدل على شدة الخوف من هذا الخزي ، وشدة تذكره واستحضاره في مطلع الدعاء وفي خاتمه ، مما يشي بحساسية هذه القلوب ورقتها وشفافيتها وتقوتها وحيائنا من الله^٣ .

(٣) حسن الابتداء :

يقول الأستاذ أحمد الهاشمي في كتابه : " هو أن يجعل أول الكلام رقيقاً سهلاً واضح المعنى مستقلاً عما بعده ، مناسباً للمقام بحيث يجذب السامع إلى الإصغاء بكليته ، لأنه أول ما يقرع السمع ، وبه يعرف مما عنده^٤ ."

كتقوله تعالى : (رَبِّ أَوْزَعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَعْمَتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالَّدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلَنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادَتِ الصَّالِحِينَ) [النمل : ١٩]
ويتأمل هذا المعنى اللغوي للفظ (رب) ، ثم ملاحظة استهلال الدعاء بها مع إضافتها للياء المتكلم نقول بتأمل ذلك نشعر بكمال الخضوع والتذلل من الداعي مما يكون أدعي للاستجابة والقبول عند الله عز وجل ، لذا كان لفظ (رب) الذي يفيده الخصوص هنا هو الذي

^١ الإتقان في علوم القرآن ، لجلال الدين السيوطي ، ج ٢ ، ص ١٣٦ .

^٢ جواهر البلاغة ، للسيد أحمد الهاشمي ، ص ٣٧٩ .

^٣ في ظلال القرآن ، لسيد قطب ، ج ١ ، ص ٥٤٧ .

^٤ جواهر البلاغة ، للسيد أحمد الهاشمي ، ص ٣٧٧ .

يتناقض مع لفظ الجلالة يا (الله) مثلاً الذي يفيد العموم .

(٤) الجناس اصطلاحاً :

"حقيقة التجنيس في مصطلح علماء البيان هو : "أن تتفق اللفظتان في وجه من الوجوه يختلف معناهما " ^١ .

أنواع الجناس : يقول صاحب كتاب المنار في بيان أنواع الجناس : ومن هنا كان الجناس نوعين : "تم" و "غير تم" ^٢ .

التم : حقيقة أن يتافق اللفظان في كل من : (١) عدد الحروف (٢) نوعها (٣) ترتيبها (٤) هيئتها ^٣ .

ونحو قوله تعالى : (وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَائِنُوا يُؤْفَكُونَ) [الروم : ٥٥] .

ونكتفي هنا بذكر أنواع الجناس الواردة في الأدعية القرآنية .

شوادر الجناس في الأدعية القرآنية :

جناس الاشتقاد : " هو أن يتافق اللفظان في الحروف والأصول مرتبة مع الاتفاق في أصل المعنى ، ويسمى الاقتضاب " .

قال الله تعالى : (رَبَّنَا وَأَحْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمَنْ ذَرْتَنَا أُمَّةً مَسْلِمَةً لَكَ وَأَرَنَا مَنَاسِكَنَا وَتَبَّ عَلَيْنَا ، إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَابُ الرَّحِيمُ) [البقرة : ١٢٨] .

جناس الاشتقاد بين كلمتي ، "تب" و "توب" .

قال الله عز وجل : (رَبَّنَا وَأَبْعَثْتَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيْهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) [البقرة : ١٢٩] .

جناس الاشتقاد بين كلمتي "الحكمة" و "الحكيم" .

الجناس المغایر : " هو أن تكون الكلمتان اسمًا و فعلًا " ^٤ .

كقوله الله عز وجل : (وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّنَا اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمَنًا وَأَرْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الشَّمَراتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمْتَعْهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرْهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ) [البقرة : ١٢٦] .

^١ معجم البلاغة العربية ، لمبدي طباعة ، ص ١٤٠ .

^٢ المنار في علوم البلاغة ، للدكتور محمد علي الحسن ، ص ٦٠٥ .

^٣ المصدر نفسه ، ونفس الصفحة .

^٤ البديع في نقد الشعر ، ابن منقذ ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ص ١٢ .

الجناس المغایر في قوله آمنا و قوله آمن .

قال الله عز وجل : (رَبَّنَا لَا تُرِغِّبْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مَنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَابُ) [آل عمران : ٨] .

الجناس المغایر في قوله " هب " و قوله " الوهاب " .

(٥) **السجع في الاصطدام** : يقول الأستاذ أحمد الهاشمي في كتابه : هو توافق الفاصلتين في الحرف الأخير من النشر ، وأفضلهم ما تساوت فقره . وهو ثلاثة أقسام : (١) المرصع (٢) المتوازي (٣) المطرف ^١ .

كقوله تعالى : (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِنُ . اهْدِنَا الصَّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ . صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ) [الفاتحة : ٥ - ٧] .

هنا التسجيع في (الرحيم) و (المستقيم) ، وفي (نستعين) و (الضالين) ، والتسجيع هو انتقام الكلمتين في الوزن ^٢ .

السجع المرصع : " وهو أن تكون الألفاظ المتقابلة في السجعتين متفقة في أوزانها وفي أعجازها ، (أي) في الحرف الأخير من كل متقابلين فيها " ^٣ . كقوله تعالى : (فَقَاتُلُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلُنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ . وَتَحْنَّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ) [يونس : ٨٥ - ٨٦] . وهناك السجع في كلمتين آخرين ، وهما (للْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) و (الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ) .

السجع المطرف :

السجع المطرف عبارة عن الفاصلتين المتفقتين في التقافية دون الوزن العروضي . فربما نرى الأسجاع في الأدعية القرآنية متوافقة في الحرف الأخير من كل قرينة من قرائتها . وأما ما قبل الفواصل فيكون مطلقاً من قيد التوافق في الوزن والتقوفية مثل دعاء المسافر حينما يستوي على المركب : (سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ . وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمْنَقُّلُوْنَ) [الزخرف : ١٤ - ١٣] .

السجع بالتقديم والتأخير : قد نجد تقديم بعض العناصر عن موقعه الطبيعي النحوي وتأخيرها في الجملة الدعائية حفاظاً على ذلك الصنيع

^١ جواهر البلاغة ، للسيد أحمد الهاشمي ، دار المعرف ، بيروت ، ص ٣٦٣ .

^٢ إعراب القرآن الكريم وبيانه ، لمحي الدين درويش ، ج ١ ، ص ١٩ .

^٣ البلاغة العربية أساسها وفنونها ، لعبد الرحمن الحنكبة ، ص ٥٠٣ .

ورعاية للتاغم الصوتي المنبع من رؤس الآي ، من دون الإخلال بالمعنى المقصود . ومن غير تهجين الخيال الرائع المنضود ، مثل : (سُبْحَانَ الَّذِي سَخَرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ) [الزخرف : ١٣] . " وَنَحْوُ الدُّعَاءِ : (وَاجْعَلْنَا لِمُتَّقِينَ إِمَامًا) [الفرقان : ٧٤] . فتقديم الجار وال مجرور في هاتين الجملتين يظهر فيه الانسجام بين الفاصلتين في الآيتين .

(٦) حسن الترتيب :

هذا من أهم موضوعات علم البديع ، وتشتمل على النظم الرائعة بين أفكار والبيان حتى يحس القاريء روعة حسن البيان وتنسيق الكلام .
كقوله عز وجل : (رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَالْحَقْنِي بِالصَّالِحِينَ . وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْأَخْرِينَ . وَاجْعَلْنِي مِنْ وَرَةَ حَنَّةَ النَّعِيمِ) [الشعراًء : ٨٣ - ٨٥].
وفي قوله عز وجل : (رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَالْحَقْنِي بِالصَّالِحِينَ) فقد استوهب الحكم أولاً ثم طلب الإلحاد بالصالحين ، والسر فيه دقيق جداً ، ذلك أن القوه النظرية مقدمة على القوة العلمية ، لأنه يمكنه أن يعلم الحق وإن لم يعمل به ، وعكسه غير ممكناً ، لأن العلم صفة الروح والعمل صفة البدن : وكما أن الروح أشرف من البدن ، كذلك العلم أفضل من الصلاح .

وفي قوله عز وجل : (وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْأَخْرِينَ) فاللسان مجاز عن الذكر بعلاقة السبيبة ، واللام للتفع ، ومنه يستفاد الوصف بالجميل .
وقوله عز وجل : (رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكُفْرُ عَنَّا سَيِّئَاتَنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ) [آل عمران : ١٩٤] : وورد دعاؤهم على ترتيب بديع حيث بدؤوا بطلب غفران الذنوب ، وهي الكبائر من المعاصي ثم طلبوها تكفر السيئات ، وهي الصغائر ، ثم طلبوها الوفاة مع الأبرار ، وهم أفاضل الصالحين من عباد الله .
وقوله عز وجل : (وَلَمَّا بَرَزُوا لِحَالُوتَ وَجَنُودُه قَالُوا رَبَّنَا أَفْرُغْ عَلَيْنَا صَبَرًا وَسَيِّطْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ) [البقرة : ٢٥٠] ، فنجد في هذه الآية حسن الترتيب حيث طلبوها أولاً : (إفراج الصبر على قلوبهم عند اللقاء ، وثانياً : ثبات القدم والقوة على مقاومة العدو حيث أن الصبر قد يحصل من لا مقاومة له ، وثالثاً : العمدة والمقصود من المجازية وهو النصرة على الخصم حيث إن الشجاعة بدون النصرة طريق عتبته عن النفع خارجة .

المستشرقون الألمان وتحقيق المخطوطات العربية والإسلامية

(الحلقة الأولى)

* الأخ محمد عبد الواحد

المقدمة :

يطلق مصطلح الاستشراق (Orientalism) على الدراسات الغربية التي تتعلق بالشرق، والمستشرق هو عالم من البلدان الغربية عموماً يتمثل في إجراء الدراسات المختلفة عن الشرق: نقاوته وتاريخه وحضارته وأدبه ولغته، كما قال د. ساسي سالم الحاج: "ذلك العلم الذي تتناول المجتمعات الشرقية بالدراسة والتحليل من قبل علماء الغرب"^١. والمدرسة الاستشرافية الألمانية فقد توالت على أقطارها وأهدافها وخصائصها كما أنها لم تكن نتيجة لأهداف سياسية واستعمارية، ولم تكن وثيقة الصلة بالأهداف الدينية التبشيرية كدول أخرى، على سبيل المثال فرنسا وإنكلترا وإيطاليا وغيرها، بل على العكس كان الألمان على علاقة طيبة بالدولة العثمانية والعالم الإسلامي في الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ - ١٩١٩م)^٢. ولعب الاستشراق الألماني دوراً كبيراً في مد جسور التواصل الحضاري بين العالم العربي وأوروبا، وقد كان لهم فضل كبير في إحياء التراث العربي والإسلامي خلال دراسة المخطوطات العربية وتحقيقها ونشرها، وطباعة أمميات الكتب العربية، وترجمة بعضها إلى اللغة الألمانية، وتأليف الكتب والدراسات حول الفكر العربي والإسلامي، إضافة إلى إنشاء المعاهد والجمعيات للدراسة والبحث في اللغة العربية والعلوم الشرقية. وقد لعبت المكتبات الألمانية دوراً هاماً في حفظ

* الباحث في الدكتوراه ، مركز الدراسات العربية والإفريقية ، جامعة جواهر لال نهرو ، نيودلهي ، Email : mohdabdulwahid9@gmail.com

^١ سالم الحاج ، ساسي : نقد الخطاب الاستشرافي ، ج ١ ، دار المدار الإسلامي ، بيروت ، ٢٠٠٢م ، ص ٢٠ .

^٢ رائد ، أمير عبد الله : "المستشرقون الألمان وجهودهم تجاه المخطوطات العربية الإسلامية" ، مجلة كلية العلوم الإسلامية ، ٢٠١٤م ، ع ٨ ، ص ٩ .

المخطوطات العربية والإسلامية النادرة ، ومن أبرزها "الجامع الصحيح" للبخاري يعود تاريخه إلى عام ٤٢٥هـ ، ونسخة من "تاريخ الرسل والملوك" للطبرى يعود تاريخها إلى عام ٤٤٧هـ ، ونسخة من "ديوان أبي العلاء المعري" تعود إلى عام ٤٧٥هـ .

تعريف المخطوطة :

لغةً : كلمة مخطوطة مشتقة من خط يخطئ أي كتب بخط اليد ، صور اللفظ بحروف هجائية ، جاء في المعجم الوسيط : المخطوطة : المكتوب بالخط لا بالمطبعة ، (ج) مخطوطات ، والمخطوطة : النسخة المكتوبة باليد^١ .

اصطلاحاً : هي كل ما تمت كتابتها عبر خط اليد سواءً أكان كتاباً أو وثيقاً أو رسالةً أو في شكل صحف متماسكة أو في شكل كتيبات ، وأنها كتبت في عصر ما قبل الطباعة ، وإنها النسخة الأصلية التي كتبها المؤلف بخط يده أو سمح بكتابتها أو الموافقة عليها أو منسوبة أخرى غير الأصل ، وهكذا نستطيع أن نقول إن كل نسخة مكتوبة بخط اليد ، ولكن لم يقبل علماء اللغة استخدام كلمة مخطوطة إلا إذا أرفقت بكلمة كتاب ، وهم يقولون "كتاب المخطوطات" لأنه ليس كل ما كتب يدوياً يعتبر بالضرورة مخطوطة على سبيل المثال فالكتابة على القبور والنقوش الصخرية لا يمكن اعتبارها مخطوطة ، لأن الكتابة باليد جميعها ليست بالضرورة مخطوطة ، ويبعد أن مصطلح (المخطوط) ظهر بعد عصر الطباعة ليفرق بين المطبوع والمخطوطة^٢ .

كيف انتقلت المخطوطات العربية إلى ألمانيا : احتضنت بلاد أوروبا وبالخصوص ألمانيا الآلاف من المخطوطات العربية منذ القرون ، ولكن كيف وصلت هذه الجمعية من المخطوطات إلى البلاد التي لا تتحدث العربية ؟ فقد أشار المؤرخون إلى أسباب كثيرة ، ولكن نرى في التالي أن

^١ مجمع اللغة العربية : المعجم الوسيط ، ط٤ ، مكتبة الشروق الدولية ، القاهرة ، ٢٠٠٤م ، ص ٢٤٤ .

^٢ نشار ، نشار السيد : في المخطوطات العربية ، دار الثقافة العلمية ، الإسكندرية ، ١٩٩٧م ، ص ٥ - ٦ .

أهمهم الثلاثة هم الحروب ، والبعثات والشراء ، والاستعمار .

الحروب : تعرضت المخطوطات الإسلامية الضخمة للضياع بسبب الحروب العديدة في الدول العربية والإسلامية في القرون الوسطى وأبرزها سقوط بغداد ودمير مكتباتها الكثيرة على يد "هولاكو" في عام ١٢٥٨م ، عندما أمر برمي مخطوطات المكتبة في نهر "دجلة" حتى اسود لونه من المداد لمدة أشهر من لون الخبر الذي خطت به هذه المخطوطات ، التي كانت تضم إلى جانب آلاف المخطوطات العربية المجمعة ترجمات كل نصوص الحضارة اليونانية القديمة . وبعدها عند سقوط غزانتة آخر ، معاقل العرب في الأندلس على يد الأسبان في عام ١٤٩٢م ، حيث دمرت المراكز الثقافية وأحرقت المكتبات مع عشرات الآلاف من المخطوطات الإسلامية إذ استهدفت أفكارهم وتراثهم^١ . وأما الذي سلم من هذه الكوارث والنكسات فقد نقل معظمها إلى المكتبات الأوروبية والمتحف الأجنبية خلال الحروب الصليبية (١٠٩٥ - ١٢٩١م) .

الاستعمار : رافق المستشرقون الحملات الاستعمارية خلال احتلال بلاد المسلمين ، بحيث نجد أنهم استولوا على أغلى المخطوطات بسبب الحملات العسكرية ، على سبيل المثال حملة نابليون على مصر في عام ١٧٩٨م ، ثم خلال استعمار البلاد الإسلامية الأخرى ، ويقدرها " معهد المخطوطات العربية " بما يقرب من ثلاثة ملايين مخطوط ، بعضها كان غنائم من المعارك والحروب ، وكانت المخطوطات والقطع الفنية الإسلامية التي وصلت أوروبا مملوكة بشكل أساسى من قبل النبلاء وخزائن الكنائس^٢ .

البعثات والشراء : قد وصلت المخطوطات إلى ألمانيا والبلاد الأخرى في أوروبا في أواخر العصور الوسطى من خلال الاتصالات الدبلوماسية والتجارية . ودخل بعض هذه المخطوطات مكتبة الأمراء والزعماء من

^١ الشهاوى ، صلاح عبد الستار محمد : " ضياع التراث العربي سبب أ Fowler الحضارة العربية " ، الداعي ، ع ٩ - ١٠ ، م ٢٠١٤ . <http://darululoom-deoband.com>

^٢ عبد الله ، عمران : " عبر المدابي والحروب والسفر . هكذا وصلت آلاف المخطوطات العربية ألمانيا " ، الجزيرة ، تاريخ النشر : ٤ / ١١ / ٢٠٢٠م .

ملوك العرب كهدايا لعلاقة الصداقة بينهم . وفي أوروبا كان الزعماء والنبلاء يرسلون مبعوثاتهم إلى الشرق لشراء المخطوطات على سبيل المثال " فريديرش فيلهلم الرابع " ملك بروسيا أرسل ريتشارد ليسيوس (Karl Julius Lepsius) إلى مصر في عام ١٨٤٢م وهينريش بيترمان (Heinrich Petermann) في عام ١٨٥٢م . وتأكد المؤرخون على أن يكون هناك بيع وشراء واسع النطاق للمخطوطات في أسواق العالم العربي ، واشترى المستشرقون هذه المخطوطات لأنهم أدركوا أهميتها وقيمتها ، ثم عادوا إلى ألمانيا والبلاد الأخرى بجمعية من المخطوطات العربية الأصلية والإسلامية النادرة .

استقصاء عن المخطوطات العربية في ألمانيا وفهرستها :

قد لعبت المكتبات الألمانية دوراً كبيراً في حفظ التراث العربي الإسلامي وحسب التقديرات الحكومية فإن جمهورية ألمانيا الاتحادية تضم بأكثرب من أربعين ألف مخطوطة عربية (٤٠٠٠) التي هي متاثرة في المكتبات العديدة ^١ ، وبالأساس تكون هذه المكتبات على القسمين : الأول الحق بالبلديات ويبلغ عدد هذه المكتبات إلى سبعة آلاف ، وأما القسم الآخر فيكون تابعاً للكنائس ويبلغ عددها إلى أحد عشر ألف مكتبة ^٢ . وعملت هذه المكتبات على صيانتها وترميمها وإعادة طبعها وإعداد فهارسها ، والآن سنرى بعض أهم المراكز الألمانية في التالي .

مكتبة الدولة في برلين : هي مكتبة عامة قد أنشئت في عام ١٦٥٩م ، لها قسم خاص للمخطوطات ، وإذا كان قد أحصى الفرد (W. Ahlwardt) عدد المخطوطات بهذه المكتبة في عام ١٨٨٧م وقدره بحوالي ٦٤٥٠ مجلداً من المخطوطات العربية ، فإن هذا العدد قد أخذ في النمو والزيادة منذ ذلك الحين والآن يمكن القول بأن هذه المكتبة تضم ما يقرب من ١١٧٣٠ مخطوطة إسلامية محفوظة في شكل جيد ، منها ما

^١ المحاسني ، سماء زكي : دراسات في المخطوطات العربية ، مكتبة الملك فهد ، الرياض ، ١٩٩٩م ، ص ٦٦ - ٧٠ .

^٢ المطوري ، محمد سعدون : " الاستشراق الألماني ودوره في الدراسات الشرقية " ، مجلة دراسات استشراقية ، ٢٠١٥م ، ع ٣ ، ص ١٩٨ .

يُقرب من ٧٢٠٠ مخطوطة عربية و ٩٠٠ فارسية و ١٥٠٠ تركية و ٥٤ أوردية وغيرها^١ ، وهذه المخطوطات تغطي جميع فروع الدراسات العربية والإسلامية .

مكتبة الدولة البافارية : يعود تاريخ تأسيسيها إلى عام ١٥٥٨ م ، ووصل عدد مقتنياتها من المخطوطات العربية والإسلامية حالياً إلى ٤٤٠٠ ، وأكثراً منها متخصصة بالثقافة العربية ولغتها وأدابها ، وقد صنفت فهارس المخطوطات العربية من طرف المستشرق كريستيان فريدریخ سیبولد (C. F. Seybold)^٢ .

مكتبة جامعة توبينغن : قد أُسست في عام ١٤٧٧ م وهي مكتبة متخصصة في الدراسات الشرقية ، ومن ثم فإنها تميز عن المكتبات الألمانية الأخرى بمجموعة مخطوطاتها الإسلامية ، تضم المكتبة ما يقرب من ٥٥٠ مخطوطة إسلامية بحالة رائعة ، منها حوالي ٣٠٠ باللغة العربية و ٨٠ باللغة الفارسية و ١٧٠ باللغة التركية ، وتغطي هذه المخطوطات عدة الموضوعات ، على سبيل المثال : القرآن الكريم ، والحديث النبوي ، والتصوف ، والتاريخ الإسلامي ، والنحو ، والشعر ، والطب ، والفلك ، والرياضة . وسبب ثراء هذه المكتبة هو أن جامعة توبينغن عملت في ذلك مع عدد من العلماء البارزين مثل نولدكه وليتمان وبارييت وغيرهم .

المكتبة الدوقية في غوته - مكتبة البحث : أنشئت كمكتبة عامа في عام ١٦٤٧ م ، وتزودت بالمخطوطات الإسلامية وبلغ عددها الآن إلى ٣٣١٧ ، منها ٢٨٩١ مخطوطة باللغة العربية و ٢٩٢ باللغة التركية و ١٣١ باللغة الفارسية وواحدة باللغة الأوردية^٣ . وتشتمل المخطوطات فيها على جميع مجالات الدراسات الإسلامية وبالخصوص الأدب والتاريخ ، وتعدها واحدة من أفضل المكتبات في مجال المخطوطات الإسلامية لأنها

^١ هاینن ، آنطون : المخطوطات الإسلامية في العالم ، ج ١ ، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي ، لندن ، ١٩٩١ م ، ص ١٢٨ .

^٢ wikipedia.org/wiki/Christian_Friedrich_Seybold

^٣ هاینن ، آنطون : المخطوطات الإسلامية في العالم ، ج ١ ، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي ، لندن ، ١٩٩١ م ، ص ١٤٦ - ١٥٢ .

تعم بحراسة جيدة وعناية خاصة .

مكتبة الدولة البابلية : يرجع تاريخ تأسيسها إلى عام ١٥٥٨ م ، وهي مكتبة غنية بالمخطوطات الإسلامية ويبلغ عددها إلى ٣٨٩٤ ، ومن بينها ٢٨٥٥ باللغة العربية ، و ٤٨١ بالفارسية ، و ٥١٢ بالتركية ، ٨ بالأوردية ، وتغطي هذه المخطوطات بالموضوعات الإسلامية العديدة ، وأبرزهم القرآن الكريم ، والحديث النبوي ، والفقه الإسلامي ، وعلم الكلام ، والتصوف ، والأدب العربي ، والشعر الجاهلي ، والتاريخ الإسلامي ، والجغرافيا ، والفلسفة ، واللغة ، والكميات ، والطب ، والرياضيات ، والفلك ، كثير منها يتمتع بجمال الخط وروعة المزین وأوسمة التجليد ، ولعل أقدم هذه النسخ من مجموعة جلاسر (Glaser) التي تعد من أهم المخطوطات في دراسة التاريخ الإسلامي^١ .

مكتبة جامعة ليبزج : هي مكتبة عامة أنشئت في عام ١٥٤٣ ، وتضم ١٠٥٦ مخطوطة إسلامية ، ومن بينها ٨٩٨ باللغة العربية ، وتغطي جميع المجالات الإسلامية ، على سبيل المثال : القرآن الكريم ، والحديث ، والفقه ، والتصوف ، والتاريخ الإسلامي ، والبلاغة ، والشعر العربي ، والجغرافيا ، والطلب ، والرياضيات^٢ .

مكتبة الجمعية الاستشرافية الألمانية : وهي مكتبة شبه عامة ، أنشئت في عام ١٨٤٥ م ، وتضم ما يقرب من ٣٠٠ مخطوطة إسلامية ، منها ١٠٤ باللغة العربية ، أكثرها في التاريخ الإسلامي وباقيتها في الأدب والنحو والتصوف ، وكثير منها ورثته المكتبة عن باحثين وأساتذة سابقين في اللغة العربية ، وتعاني المكتبة من بعض الدمار الذي أصابها خلال الحرب .

مكتبة البلدية في درسدن : أنشئت في عام ١٥٥٦ م ، وفيها ٤٧١ مخطوطة ، منها ١١٨ باللغة العربية ، و ٢٧٢ باللغة التركية ، و ٨١ باللغة الفارسية .

^١ هاينن ، أنطون : المخطوطات الإسلامية في العالم ، ج ١ ، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي ، لندن ، ١٩٩١ م ، ص ١٨٤ .

^٢ هاينن ، أنطون : المخطوطات الإسلامية في العالم ، ج ١ ، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي ، لندن ، ١٩٩١ م ، ص ١٤٧ .

فهارس المخطوطات العربية في ألمانيا :

تعتبر فهارس المخطوطات من أهم الإجراءات للاستفادة منها ومؤلفاتها ، ولهذا يقال أن الكتب بلا فهارس كنوز بلا مفاتيح ، فقام المستشرقون الألمان بإعداد فهرس المخطوطات ، وقد قررت مؤسسة الأبحاث الألمانية (Deutsche Forschungsgemeinschaft) توسيعها وإنشاء مثيلاتها للمعاهد ولقد صدر قرار برصد وإحصاء المخطوطات الشرقية غير المفهرسة من خلال الفهارس المطبوعة في عام ١٩٥٧م^١ . ويعتبر حجم المخطوطات الإسلامية التي تم التعريف بها وإعداد فهرستها قليلاً مقارنة بالعدد الإجمالي للمخطوطات التي لا تزال غير معروفة ، ولم يتم حصرها حتى الآن . وفي السطور التالية سنرى بعض أسماء الفهارس التي أعدت من قبلهم خلال التحقيق .

"فهرس المخطوطات الكيميائية العربية في ألمانيا" (Katalog der arabischen alchemistischen Handschriften Deutschlands: Alfred Sigel) قام بإعداده أ. ألفرد سigel (Alfred Siegel) منذ عام ١٩٤٩م إلى ١٩٥٦م ، الجزء الأول عن المخطوطات في المكتبة العامة ، والجزء الثاني عن المخطوطات في المكتبة الدوقية في جوله ، والجزء الثالث عن المخطوطات في المكتبات العامة في درسدن وجوتينج وليبزج وميونيخ . و "فهرس المخطوطات الشرقية في ألمانيا" (Katalogisierung der orientalischen Handschriften in Deutschland) قام بإعداده Wolfgang Voigt (فولفجانج فويجت) في عام ١٩٥٧ - ١٩٥٨م^٢ . و "تطور فهرسة المخطوطات الشرقية في ألمانيا" ندوة عقدت في ماربورج في عام ١٩٦٥م . (Fortschritte der Katalogisierung der orientalischen : Handschriften in Deutschland. Marburger Kolloquium) قام بإعداده فولفجانج فويجت (Wolfgang Voigt)

^١ هاينن ، أنطون : المخطوطات الإسلامية في العالم ، ج ١ ، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي ، لندن ، ١٩٩١م ، ص المقدمة .

^٢ هاينن ، أنطون : المخطوطات الإسلامية في العالم ، ج ١ ، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي ، لندن ، ١٩٩١م ، ص ١٢٠ - ١٢١ .

وفرانز شتاينر (Franz Steiner) في عام ١٩٦٦ ، هو تقرير عن تطور مشروع فهرس المخطوطات الشرقية في ألمانيا في ثمانين مجلداً . و " قائمة بالمخطوطات العربية المتصلة بالشعر والأدب وتاريخ الأدب والترجم Verzeichnissarabischer Handschriften () der königlichen :AV Bibliothek zu Berlin aus den Gebieten der (Poesie, schönen Litteratur, Litteraturgeschichte und Biographik إعداد : ثلاثم الفرد . جريفسقالد (Greyscald: Bamberg) في عام ١٨٧١ ، وتقديم هذه القائمة وصفاً مقتضاً لجموعات من المخطوطات في الأدب والشعر العربي ... إلخ .

و " قائمة المخطوطات العربية في المكتبة الملكية ببرلين " (Verzeichnis der arabischen Handschriften der Königlichen Bibliothek zu Berlin) قام بإعدادها ف . الفرد منذ عام ١٨٨٧ م إلى عام ١٨٩٩ م ، ثم أعاد هيلدسهایم (Hildesheim) إصدارها في عام ١٩٨٠ - ١٩٨١ م في ١٠ مجلدات ، وتعد هذه القائمة بمثابة النموذج الأمثل لفهارس المخطوطات ، حيث تقدم البيانات الوصفية الضرورية لتحديد هوية المخطوطات على سبيل المثال أسماء المؤلفين وأسماء الناسخين وتاريخ التأليف والنسخ والعنوانين واللغات التي كتبت بها ونوع الخط ، هذا فضلاً عن ذكر مقتطفات من النص للتمييز بين الأعمال أو النسخ المشابهة ، بالإضافة إلى إشارة بالمخطوطات الأخرى ذات العلاقة ، ويبلغ عدد المخطوطات التي تحصيها هذه القائمة بمجلداتها العشرة ١٠,٣٦٦ مخطوطة . و " قائمة المخطوطات العربية بالمكتبة الجامعية الملكية في توبنجن " ، الجزء الأول (Verzeichnis der arabischen Handschriftender Königlichen Universitätsbibliothek zu Tübingen:) قام بإعدادها سيبولد (CHR. Seybold) في عام ١٩٠٧ م ، وتقديم هذه القائمة وصفاً دقيقاً للمخطوطات من ١ إلى ٤٦ ويتضمن كل التفاصيل الالزمة للتعریف بها . وفي عام ١٩٣٠ م قام ماكس وايزویلر (M. Weisweiler) بإعداد الجزء الآخر بأسلوب أكثر منهجمية في وصف المخطوطات ، وتغطي هذه القائمة المخطوطات من ٤٧ إلى ٢٤٧ . و " المخطوطات العربية بالمكتبة الدوقية في غوتة " (Die drei Teile))

(ArabischeHandschriften der HerzoglichenBibliothek zu Goethe قام بإعدادها أندر . بيرثيس (Andr. Parthes) وقد أعاد معهد التاريخ والعلوم العربية الإسلامية (Institut für Geschichte der Arabisch-Islamischen Wissenschaften نشره في فرانكفورت مع ٢٨٩١ مخطوطة عربية ، ويتوافق لهذه المكتبة فهارس ممتازة ورائعة ، وتعد من أفضل فهارات المخطوطات الموجودة بأي مكتبة في ألمانيا^١ . و "فهرس المخطوطات الإسلامية والمسيحية الشرقية والعبرية والزماريتانية في مكتبة جامعة ليبزج" وهو الجزء الثاني من فهرس المخطوطات في Katalog der islamischen, christlich-orientalischen, jüdischen und samaritanischen Handschriften (der Universitäts-Bibliothek zu Leipzig) قد قام بإعداده ك . فولرز (K. Vollers) وجرى لايبلوت (Leipoldt J.) في عام ١٩٠٦م ، وهو فهرس رائع يغطي البيانات الأساسية ، على سبيل المثال : المؤلف ، والعنوان ، وتاريخ التأليف ، والنسخ ، والمحفوظات وغيرها ، وتشغل المخطوطات العربية الأرقام من ١ إلى ٨٩٨ مخطوطة . و "قائمة المخطوطات العربية في مكتبة الجمعية الاستشارية الألمانية" (Verzeichnis der arabischen Handschriften in der Bibliothek der Deutschen Morgenländischen Gesellschaft) ، إعداد : هانز فير (Hans Wehr) في عام ١٩٤٠م ، تضم هذه القائمة ١٣٦ مخطوطة .

التحقيق في المخطوطات : هو إثبات صحة المخطوطات من حيث العنوان واسم المؤلف والنص والمادة العلمية ثم تقديمها للمطبعة لنشرها ليطلع عليها الجمهور . ويعمل المحقق في النص الأصلي للمؤلف ويصحح تحريفه وتصحيحه من زيادة أو نقص . فتحقق الآلمان عدداً كبيراً من أهميات الكتب في اللغة العربية ، وقاموا بترجمتها إلى اللغة الألمانية ثم نشرها . والآن سنقدم عرضاً مستفيضاً لبعض المستشرقين من ألمانيا وأبحاثهم .

(للبحث صلة)

^١ هاين، أنطون: المخطوطات الإسلامية في العالم، ج ١، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن، ١٩٩١م، ص ١٣٢ - ١٥٤.

مرية جميلة (مرجريت ماركوس) الباحثة عن الحقيقة

(الحلقة الأولى)

الدكتور غريب جمعة - جمهورية مصر العربية

وقفت طويلاً متدرجاً لقول الله تبارك وتعالى : (وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ) . [الزخرف : ٤٤].
ومعنى الآية :

وإن هذا القرآن لشرف عظيم لك يا محمد ولقومك ، لأنه نزل بلغتهم على رجل منهم ، فهم أفهم الناس له فينبغي أن يكونوا أسبق الناس إلى العمل به وسوف تسألون عن حقه وأداء شكر النعمة فيه .

ويعلق الشيخ المراغي في تفسيره على ذلك بقوله : " وخلاصة ما سلف : أن هذا القرآن نزل بلغة العرب ، وقد وعد الله بنشر هذا الدين ، وأبناء العرب هم العارفون بهذه اللغة ، فهم الملزمون بنشرها ونشر هذا الدين للأمم الأخرى فمتى قصروا في ذلك أدلهم الله في الدنيا وأدخلهم النار في الآخرة .

فعسى أن يقرأ هذا أبناء العرب ويعلموا أنهم هم المعلمون للأمم ، فينشروا هذا الدين ويكتبوا المصاحف باللغة العربية ويضعوا على هامشها تفاسير بلغات مختلفة كالإنجليزية والفرنسية والروسية وغيرها من لغات العالم حتى تعرف لأمم كلها هذا الدين معرفة حقه خالية من الخرافات التي الصقها به المبتدعون ويعود سيرته الأولى وما ذلك على الله بعزيز . أهـ . (تفسير المراغي ، جزء ٢٥ ، صفحة ٩٣ - ٩٤).

أقول : ونزيد على خرافات المبتدعين شبكات المستشرقين ورجال الدين الحاذدين والمعادين للإسلام ولكتاب الإسلام ولنبي الإسلام . وقف طويلاً أمام هذه الآية الكريمة وسألت نفسي : هل قمنا بأداء حق القرآن الذي بيّنت هذه الآية أن الله تبارك وتعالى سيسأّلنا عنه ؟ وماذا سنقول لربنا غداً عند الوقوف بين يديه إذا سأّلنا عن سبب

ذلك التقصير المشين في حق كتابه الذي اختصنا به ؟
وأحسب أننا لو أدينا هذا الحق لكان أهلاً لنصر الله لنا ،
ولقدمنا أعظم خدمة لذوي العقول المنصفة والفطر السليمة الذين يقفون
موقف الإعجاب من الإسلام فيبدأون بدراسة دراسة جادة ، ويبحثون فيه
بحثاً دقيقاً ، لا أقول يستغرق سنوات من عمر الباحث أو الباحثة بل قد
يستغرق معظم سنوات العمر ، لقلة المراجع الأمينة والمصادر التي تحسن
عرض الإسلام كما رضيه الله لعباده ، وليس كما رضيه المزورون
والحاقدون المحاربون له بشتى الوسائل حتى تتسع الشقة بينه وبين من يريد
البحث والنظر فيه ليعتقد عن رضا وطمأنينة واقتاع .
وأحسب أننا لو أدينا حق القرآن علينا لاختصرنا الوقت على هؤلاء
الباحثين المخلصين الصادقين في نواياهم . . . وكانت أعداد من يدخلون
الإسلام منهم - بإذن الله - أضعافاً مضاعفة .
وتأمل ما قاله أحدهم عن الإسلام وهو :
" يا له من دين لو أن له رجالاً "

وليسمح لي القارئ أن أضع أمامه نموذجاً من أعظم النماذج التي
درست الإسلام وبحثت فيه بضع سنين ثم انتهت بها دراستها وبحثها إلى
اعتقاده عن رضا واقتاع عجيبين !!
إنها السيدة الفاضلة والمُؤلِّفة والكاتبة الكبيرة الأستاذة : مريم
جميلة - رحمها الله .

فهيا بنا نلقي الضوء على حياتها وكيف تركت ديانتها اليهودية
اعتقاد الإسلام ؟
المولد والنشأة :

ولدت مريم (مارجريت) في ٢٣ مايو سنة ١٩٣٤ م لأبوين يهوديين
من أصل ألماني ، يعيشان في نيويورك فحملت الجنسية الأمريكية ، وعلى
الرغم من نشأتها في هذا المجتمع إلا أنها لم تشاركهم عاداتهم من شرب
الخمر وحفلات الاحتكاـط وغير ذلك من مظاهر التفلت من الدين .

وكانت وهي طفولة تحضر دروس مدرسة الأحد اليهودية وتسمع
الحاخام وهو يقول : إن اليهود والعرب هم أولاد الخليل إبراهيم فكانت
أمنيتها أن تذهب إلى فلسطين لترى أبناء عمها وتلتقي بهم وتتحدث إليهم
وتتعرف عليهم .

لَكُنْ صَدِمَتْهَا كَانَتْ كَبِيرَةً حِينَما رأَتْ أَبُوهَا يَشْجُعُهَا قَرَار
تَقْسِيمِ فَلَسْطِينَ بَيْنَ الْعَرَبِ وَالْيَهُودِ فِي ١٩٤٧ مَ، بِلِّ إِنْهُمَا شَرِعاً فِي جَمْعِ
الْتَّبَرُعَاتِ لِمُسَاعَدَةِ الْيَهُودِ ضَدِّ الْعَرَبِ، وَأَقَامَا حَفْلَةً بِمُنَاسَبَةِ انتِصَارِ الْيَهُودِ
فِي الْحَرْبِ الَّتِي دَارَتْ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْعَرَبِ عَامَ ١٩٤٨ مَ.

وَبِدَائِتْ مَارْجُريتْ تَتَاقَشُ أَبَاهَا فِي طَرْدِ الْفَلَسْطِينِيِّينَ مِنْ دِيَارِهِمْ
وَمِزَارِعِهِمْ وَبِسَاتِينِهِمْ وَإِقَامَةِ دُولَةٍ لِلْيَهُودِ عَلَى أَرْضِهِمُ الَّتِي اغْتَصَبَهَا الْيَهُودُ
بِتَشْجِيعٍ وَتَآمِرَةِ دُولِيِّ خَبِيثٍ، وَأَصْبَحَ الْفَلَسْطِينِيُّونَ مُشَرِّدِينَ فِي كُلِّ
مَكَانٍ مِنَ الْعَالَمِ.

كَيْفَ تَعْرَفْتَ عَلَى الإِسْلَامَ؟

كَانَتْ صَدَمَةً مَارْجُريتْ مِنْ مَوْقِفِهِا وَالْدِيَهَا ضَدِّ الْعَرَبِ الَّذِينَ يَقُولُونَ
الْحَاخَامُ عَنْهُمْ أَنَّهُمْ وَالْيَهُودُ أَبْنَاءُ عَمٍّ كَبِيرٍ.

كَانَتْ صَدَمَتْهَا كَبِيرَةً بِمَعْنَى الْكَلْمَةِ، وَكَانَتْ أَكْبَرُ دَافِعٍ لَهَا
لِتَبْدِيلِ الْقِرَاءَةِ الْجَادَةِ الْمَطْوَلَةِ عَنِ الْإِسْلَامِ، وَهِيَ قِرَاءَةٌ لَا يُقْبِلُ الْفَتَيَانُ عَلَيْهَا
فَضْلًا عَنِ الْفَتَيَاتِ فِي مُثْلِ سَنِّهَا.

وَكَانَ أَوْلَى مَا قَرَأَتْ هُوَ: تَرْجِمَةُ مَعْنَى الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ لِلإنجليزِيِّ
الْمُسْلِمِ "مُحَمَّدٌ بِبِكْتَهُولْ" وَهِيَ مِنْ أَفْضَلِ التَّرَاجِمِ لِمَعْنَى الْقُرْآنِ فَتَأثَرَتْ
بَهَا تَأثِيرًا شَدِيدًا وَفَضَلَتْهَا عَلَى تَرْجِمَةِ يُوسُفِ عَلَيِّ الَّتِي وَصَفَتْهَا بِالْعَضُوفِ
لِأَنَّ الْمُتَرَجِّمَ - فِي نَظَرِهَا - لَمْ يُسْتَطِعْ أَنْ يَتَحرَّرْ تَامًا مِنْ وَجْهَ النَّظَرِ الغَرَبِيِّ
نَحْوَ الْعَرَبِ وَالْإِسْلَامِ، وَهُوَ يَتَرَجَّمُ كِتَابَ اللَّهِ تَعَالَى.

بَلْ إِنَّ مَا يَدْعُوا إِلَى الْعَجَبِ أَنَّهَا عَثَرَتْ عَلَى كِتَابٍ "مَشْكَاهُ
الْمَصَابِيحِ" لِلتَّبَرِيزِيِّ وَهُوَ كِتَابٌ يَتَعَلَّقُ بِالْحَدِيثِ النَّبُوِيِّ الشَّرِيفِ، عَثَرَتْ
عَلَيْهِ مُتَرَجِّمًا إِلَى الْلُّغَةِ الإِنْجِلِيزِيَّةِ فَأَقْبَلَتْ عَلَى قِرَاءَتِهِ بِرَغْبَةٍ شَدِيدَةٍ،
وَكَانَ ذَلِكَ أَشْتَاءُ دراستِهِ فِي جَامِعَةِ نِيُويُورِكَ عَامَ ١٩٥٣ مَ.

وَقَدْ كَانَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْهَا وَتَوْفِيقِهِ لَهَا أَنْ بَدَأَتْ قِرَاءَتِهَا
الْمُبَكِّرَةُ عَنِ الْإِسْلَامِ بِقِرَاءَةِ مَعْنَى الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَالْحَدِيثِ الشَّرِيفِ
فَبَدَأَتْ التَّعْرِفَ عَلَى الْإِسْلَامِ مِنْ مَصَادِرِهِ الرَّئِيسِيَّةِ الصَّحِيحةِ، فَلَمْ تَتَأْثِرْ
بِأَيِّ دُعَائِيَّةٍ مُضَلَّلَةٍ مَهِمَا كَانَ شَأْنُهَا وَشَأْنُ أَصْحَابِهَا، حَتَّى إِنَّهَا لَمَّا سُئِلَتْ
فِيهَا بَعْدَ أَيِّ بَعْدِ إِسْلَامِهَا عَنْ وَصِيَّتِهِ لِلْمُسْلِمِينَ قَالَتْ: "أَدْرَسُوا الْقُرْآنَ
وَالْحَدِيثَ وَلَا تَتَبَعُوا الْحَضَارَةِ الْغَرَبِيَّةِ وَادْرُسُوا التَّقَافَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ".
وَإِلَى حَلْقَةٍ قَادِمَةٍ إِنْ شَاءَ اللَّهُ . . .

إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعْبَرَةً لِمَنْ يَخْشَىٰ

محمد فرمان الندوى

زلزال تركيا وسوريا وما جاورها من البلدان تخلع منه القلوب بمجرد سماعه ، وتقشعر منه الجلود برؤية مشاهده عبر أجهزة الإعلام ، ويبيكي دماً كل من يحمل قلباً نابضاً بهذا المنظر الرهيب الرعيب ، وهو زلزال ما رأت الدنيا مثله في أقرب زمن ، وقد تحولت المباني والقصور الشامخات ، والفنادق الناطحات للسحاب إلى بلاque وقفار ، وأما النفوس والأرواح التي ذهبت ضحيته فهي تضاعف أضعافاً مضاعفةً ، أضف إلى ذلك الجرحى والمصابين والمنكوبين بهذا الزلزال ، فإن عددهم يزداد من عشرة ملايين ، وقد أحدث الزلزال تغييراً في شكل الأرض ، ومما يزيد الإنسان إيماناً وثقة بالله أن عملاً الإسعاف والإنقاذ لا يزالون يُخرجون من تحت الأنقاض رجالاً ونساءً أحياءً ، وأطفالاً ورضعاء على قيد الحياة ، بعد مرور عشرات من الساعات والأيام ، ولا شك أنه " هُوَ الْحَقُّ ، وَأَنَّهُ يُخْبِي الْمَوْتَىٰ ، وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ " (الحج ٦) .

تاريخ الزلزال عبر التاريخ :

رأى الدين منذ بدايتها أنواعاً من الزلزال والقلقل ، وسلسلة من الفتنة والمحن ما ظهر منها وما بطن ، فهو لاء قوم نوح أصيروا بطوفان عارم على وجه الأرض ، ولم يبق من هذا الطوفان إلا من ركب سفينة نوح عليه السلام ، وابتلي قوم ثمود بصيحة واحدة ، فكانوا كهشيم المحظوظ ، وامتحن قوم شعيب بالرجفة والزلزلة ، فأصبحوا في دارهم جاثمين ، وذهب سيدنا موسى عليه السلام بسبعين رجلاً من قومه إلى الطور ، وتكلم موسى عليه السلام ربه ، لكن القوم قالوا : لن نؤمن لك حتى نرى الله جهراً ، فأخذتهم الرجفة ، وهي الصاعقة ، فألتفت أرواحهم ، فماتوا ، ثم أحياهم الله بمناجاة ودعاهم موسى عليه السلام ، وأما قارون

فكان من قوم موسى ، وكان يملك مفاتيح كنوزه التي تتواء بها العصبة أولى القوة ، لكن ارتجفت الأرض ، فخسف الله به الأرض ، هذه بعض نماذج للزلزال التي وقعت زمن الأنبياء الماضين ، وقد أحصى الإمام جلال الدين السيوطي في تاريخ الخلفاء أمثلة للزلزال عبر التاريخ إلى ثمانين زلزاً ، وذكر الملك سنجر إلى أخيه الملك مسعود عام ٥٣٩ هـ في العهد العباسي أن بغداد وضواحيها قد أصيبت بالزلزال والفتنة الأرضية التي توقف بسببها الصلوات الخمس وال الجمعة في المساجد ، يقول السلطان سنجر : " فقد ظهر عندنا من الآفات السماوية والأرضية ما لا طاقة لنا بسماع مثلها ، فضلاً عن المشاهدة من العواصف والبروق والزلزال ، ودام نحو عشرين يوماً ، وتشوّيش العساكر وانقلاب البلدان ، ولقد خفت على نفسي من جانب الله وظهور آياته " .

نظارات متباعدة عن الزلازل :

تتعدد اتجاهات الناس نحو حدوث الزلزال والفتنة ، فيكتشف علم الطبيعة أن الزلزال اهتزاز أرضي مفاجئ ، ينتج عن الحركة المستمرة للصفيحة الصخرية ، بذلك تتكسر الكتل الصخرية فتشتاً موجات شديدة ، ويأتي كل ما على الأرض من المباني والمعماريات من القواعد ، فتخر السقوف على الناس ، وأماماً هذا الزلزال الحادث فقد ذهب الناس فيه مذاهب شتى ، واختاروا طرائق قدداً ، فقال بعض : هذا زلزال صناعي ، ومكر جماعي خطط وذر ضد تركيا وسوريا ، وقال آخرون : هذا زلزال طبيعي وجيولوجي يحدث حيناً آخر ، وقال آخرون : مناطق تركيا وسوريا مناطق الزلزال والحوادث ، لأنها تقوم على أربع صفيح ، وأمثال ذلك من النظارات والاتجاهات المادية ، لكن نظرة القرآن إلى هذه الزلزال أنها لا تحدث إلا بأمر من الله تعالى ، وهي علامة لغضبه ، وأمارة لسخطه ، ودليل على قدرته الخارقة ، وعقوبة إلهية للطغاة المجرمين ، ونوع من المنبهات والموقظات ، والعقاب الأدنى قبل العذاب الأكبر ، قال تعالى : (فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ) (التوبة : ٧٠) ،

وقد أشار الله إلى حقيقة الزلزال في سورة الإسراء : (وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمْرَنَا مُتْرَفِّيهَا فَسَقَوْا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقُولُ فَدَمَرْنَاهَا تَدْمِيرًا) (الإسراء : ١٦).
الزلزال من أشرطة الساعة :

القيامة والساعة من ثواب الدين ، ودعائم العقيدة الإسلامية ، وهي حقيقة كالشمس في رابعة النهار ، والقيامة لها أشرطة وعلامات ، وهذه العلامات تنقسم إلى العلامات الكبرى والصغرى ، فالعلامات الكبرى هي طلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى بن مرريم عليه السلام ، وظهور المهدى ، وخروج الدابة وخروج الدجال ، وخروج ياجوج وماجوج وأمثال ذلك ، والعلامات الصغرى هي قبض العلماء ، وانتشار الفحشاء وكثرة الزلازل والفتنة كقطع الليل المظلم ، وقد روى الإمام الترمذى عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إذا اتخذ الفئي دولاً ، والأمانة مغنمًا ، والزكاة مغromaً ، وتعلم لغير الدين ، وأطاع الرجل امرأته ، وعَقَّ أمه ، وأدَنَ صديقه وأقصى أباه ، وظهرت الأصوات في المساجد ، وشربت الخمور وظهرت القينات والمعازف ولعن آخر هذه الأمة أولها ، وساد القبيلة فاسقهم ، وكان زعيم القوم أرذلهم ، وأكرم الرجل اتقاء شره ، فليرتقبوا بعد ذلك ريحًا حمراء ، وزلزلةً وخسفاً ومسخاً وقدفاً وآيات تتتابع كنظام بالقطع سلكه فتتابع (سنن الترمذى : ٢٢١١) ، فالزلزال والفتنة تذكر الإنسان بيوم القيمة ، لأن يوم القيمة تنفطر فيه السماء وتتشق الأرض ، وتتشتت الكواكب ، وتبعثر القبور ، وتسيير الجبال ، بل تحمل الأرض والجبال فتدكان دكةً واحدةً ، في يومئذ وقعت الواقعة ، كذلك الزلازل حينما تنزل فتخرب المباني والقصور ، وبهلك الحرش والنسل ، ويكون الناس تحت الانقضاض والأقوام من القاذورات والمهملات ، فلا ملجأ ولا مأوى من الله إلا إليه ، ولا شك أن عقيدة الآخرة إذا دخلت شغاف القلوب ، وبدأ الناس يفكرون في الحساب والنقاش ، ويرجون لقاء الله تعالى ، رجعوا إلى حياة الجيل الأول الذين كانوا نماذج عالية في المنشط والمكره والسراء والضراء ،

وانحلت مشاكلهم وعاشوا سعداء مطمئنين ، لا يكدر صفو حياتهم شيئاً من علاقـةـ الدـنـيـاـ ومـهـمـاتـ العـاجـلـةـ .
إـنـ فـىـ ذـلـكـ لـعـبـرـةـ لـمـنـ يـخـشـىـ :

إن حـيـاةـ الـإـنـسـانـ مـحـفـوـفـةـ بـالـابـلـاءـاتـ وـالـمـشـاـكـلـ ، وـمـمـلـوـءـةـ بـالـأـزـمـاتـ وـالـكـوـارـثـ ، فـلـاـ تـخـلـوـ نـاحـيـةـ مـنـ حـيـاةـ الـإـنـسـانـ إـلاـ وـيـقـعـ الـإـنـسـانـ فـرـيـسـةـ لـهـ ، وـهـذـهـ الـابـلـاءـاتـ تـتـنـوـعـ وـتـتـعـدـ ، فـتـارـةـ تـكـوـنـ الـابـلـاءـاتـ بـالـخـيـرـ ، وـأـخـرـىـ تـكـوـنـ بـالـشـرـ ، وـأـحـيـاـنـاـ تـأـتـيـ بـالـسـرـاءـ ، وـأـخـرـىـ تـأـتـيـ بـالـضـرـاءـ ، وـالتـارـيـخـ الـإـنـسـانـيـ يـشـهـدـ أـنـ أـهـلـ الإـيمـانـ هـمـ أـشـدـ النـاسـ اـبـلـاءـ وـأـمـتـحـانـاـ بـالـمـصـائبـ وـالـمـشـكـلـاتـ مـنـ الـكـافـرـينـ وـالـفـاسـقـينـ ، وـيـكـفـيـ لـلـدـلـالـةـ عـلـىـ الـمـوـضـوـعـ ذـكـرـ أـصـحـابـ الـأـخـدـودـ الـذـيـنـ أـحـرـقـوـاـ عـشـرـيـنـ أـلـفـ مـؤـمـنـيـنـ يـفـيـدـ فـيـ حـفـرـةـ مـنـ النـارـ مـلـتـهـبـةـ مـتـوـقـدـةـ ، لـكـنـ اللـهـ عـزـ وـجـلـ قـدـ أـعـدـ لـهـمـ مـنـ الـجـزـاءـ الـأـوـفـيـ وـالـأـكـمـلـ يـفـيـدـ فـيـ صـورـةـ جـنـاتـ النـعـيمـ مـاـ لـاـ يـخـفـىـ عـلـىـ كـلـ ذـيـ بـصـرـ وـبـصـيرـةـ ، فـالـحـكـمـةـ الـأـوـلـىـ مـنـ وـرـاءـ هـذـهـ الـزـلـازـلـ هـوـ اـبـلـاءـ مـنـ اللـهـ تـعـالـىـ ، أـمـاـ الـحـكـمـةـ الـثـانـيـةـ فـهـيـ تـبـيـهـ النـاسـ وـإـيقـاظـهـمـ مـنـ الـغـفـلـةـ ، وـإـخـبـارـهـمـ بـأـنـ اللـهـ يـمـلـكـ قـدـرـةـ كـامـلـةـ وـسـلـطـةـ قـوـيـةـ ، لـاـ تـعـادـلـهـ أـيـ سـلـطـةـ ، فـلـاـ تـسـقـطـ وـرـقـةـ ، وـلـاـ تـهـبـ ذـرـةـ ، وـلـاـ تـقـطـرـ قـطـرـةـ إـلـاـ بـأـمـرـ مـنـ اللـهـ تـعـالـىـ ، قـالـ تـعـالـىـ : (وـمـاـ تـسـقـطـ مـنـ وـرـقـةـ إـلـاـ يـعـلـمـهـاـ وـلـاـ جـبـةـ فـيـ ظـلـمـاتـ الـأـرـضـ وـلـاـ رـطـبـ وـلـاـ يـابـسـ إـلـاـ فـيـ كـتـابـ مـُـبـيـنـ) (الـأـنـعـامـ : ٥٩ـ) .

وـقـدـ أـصـبـحـ النـاسـ أـمـامـ الـزـلـازـلـ وـالـشـدـائـدـ أـصـنـافـاـ وـأـنـوـاعـاـ : صـنـفـ تـابـ إـلـىـ اللـهـ تـوـبـةـ نـصـوـحاـ ، وـاسـتـغـفـرـ مـنـ ذـنـوبـهـ وـسـيـئـاتـهـ ، لـأـنـ الـاسـتـغـفارـ هـوـ الـذـيـ يـنـجـيـ الـإـنـسـانـ مـنـ الـمـهـاـكـ وـالـمـخـاطـرـ ، وـإـذـاـ كـانـ الـاسـتـغـفارـ مـنـ الذـنـوبـ وـاسـتـقـامـ الـإـنـسـانـ عـلـىـ هـذـاـ الـمـنـهـجـ أـجـلـ اللـهـ تـعـالـىـ عـنـهـ الـعـذـابـ وـالـمـهـلـكـ ، وـقـدـ اـخـتـارـ قـومـ يـونـسـ هـذـاـ الـمـنـهـجـ فـنـالـوـاـ رـضاـ اللـهـ تـعـالـىـ وـنـجـواـ مـنـ عـذـابـهـ ، وـصـنـفـ قـسـاـ قـلـبـهـ وـتـكـثـفـ عـلـيـهـ الرـيـنـ وـتـلـوـثـاتـ الذـنـوبـ ، فـلـاـ يـتـبـهـ مـنـ هـذـهـ الـزـوـاجـرـ وـلـاـ يـعـظـ منـ الـنبـهـاتـ ، فـهـوـ فـيـ خـطـرـ دـوـنـ خـطـرـ - لـاـ قـدـرـ اللـهـ - وـقـدـ أـشـارـ اللـهـ إـلـىـ هـذـاـ الـمـعـنـىـ ، فـقـالـ : (أـفـأـمـنـواـ مـكـرـ اللـهـ فـلـاـ يـأـمـنـ مـكـرـ اللـهـ إـلـاـ الـقـوـمـ الـخـاسـرـوـنـ) (الـأـعـرـافـ : ٩٩ـ) .

(١) الشيخ عبد الغني الأزهري إلى رحمة الله تعالى

قلم التحرير

الشيخ الفتى عبد الغني الأزهري من أهالي سري ناغر بكمبشير ، وكانت أسرته قد نزحت إلى كمبشير من إقليم الشاش في خراسان ، كما كان جده من أكبر أتباع الإمام أحمد بن عرفة الشهيد رحمة الله ، انتقل إلى رحمة الله تعالى الشيخ عبد الغني في ٢٦ / جمادى الآخرة ١٤٤٤هـ ، المصادف ٢٠ / يناير ٢٠٢٣م ، فإننا لله وإننا إليه راجعون .

حصل الشيخ عبد الغني الأزهري على الدراسة الابتدائية في قريته ، ثم التحق بدار العلوم بدبيوند ودرس على الشيخ فخر الدين أحمد ، والشيخ العلامة حسين أحمد المدنى كما استفاد بوجه خاص من العلامة الشيخ محمد إبراهيم البلياوي ، وانضم الشيخ عبد الغني إلىأعضاء حركة المنديل الحريري التي كان يقودها العلامة الشيخ محمود حسن الدبيوندى رحمة الله تعالى ، وقد سافر الشيخ عبد الغني إلى مصر ، حيث واصل دراسته في جامعة الأزهر والتحق بكلية الحديث ، ونال منها درجة الدكتوراه حول "منهج الإمام مسلم في صحيحه" ، وبعد عودته من مصر اشتغل الشيخ عبد الغني بالتدريس في قسم اللغة العربية بجامعة كمبشير ، ثم تقاعد منها ، وأخيراً نزل في قرية باشا باغ في مديرية سهارنفور ، حيث كان يدرس الطلبة على خلال من الإيمان واليقين والأخلاق الصالحة إلى أن أصبح شيخ الحديث ، وكان مرجعاً للعلماء والمشايخ ، والمستجيزين في علم الحديث .

رحمه الله رحمة واسعة ، وأغدق عليه شبابه رحمته ، وغفر له زلاته ، وأدخله فسيح جناته ، وجعله من الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، وحسن أولئك رفيقا .

(٢) الشيخ أبو البيان حماد العمري في ذمة الله تعالى

انتقل إلى رحمة الله تعالى الشيخ أبو البيان حماد العمري بالغاً من العمر ٩٩ عاماً ، في ٥ / رجب ١٤٤٤هـ ، المصادف ٢٩ / يناير ٢٠٢٣م ، فإننا لله وإننا إليه راجعون .

كان الشيخ أبو البيان حماد العمري عالماً جليلًا ، وشاعراً قديراً ، وكان من مواليد ٢٥ / يوليو ١٩٢٢م ، وكان من تلامذة الشيخ المفسر أحمد علي اللاهوري رحمه الله ، كما كانت له علاقة بالشيخ أبي الأعلى المودودي والشيخ أبي الليث الإصلاحي الندوى والإمام السيد أبي الحسن علي الحسني الندوى رحمة الله جمعاً ، قضى الشيخ أبو البيان حماد حياته في أعمال جليلة ، سواءً كان في جامعة دار السلام بعمّرآباد ، أو كعضو للجماعة الإسلامية ، أو مسئول عن مجلة (راه اعتدال) الصادرة من عمّرآباد بتامل نادو ، وكان الشيخ نموذجاً صالحًا للعلماء القدامى في السيرة والسلوك .

ونحن إذ نعزي أسرته ندعوا الله أن يتغمده بواسع رحمته ويففر له زلاته ويقبل منه أعماله التي قام بها في حياته .

(٣) الشيخ محمد أنيس الرحمن القاسمي إلى رحمة الله تعالى

توفي الشيخ محمد أنيس الرحمن القاسمي والد الأخ العزيز الأستاذ خالد فيصل الندوبي في ١٥ / جمادى الأولى ١٤٤٤هـ ، الموافق ٧ / فبراير ٢٠٢٢م ، عن عمر يناهز ٩٢ عاماً ، فإننا لله وإننا إليه راجعون .

كان الشيخ أنيس الرحمن القاسمي من ناته ناغر بمديرية باغلور ، بولاية بهار ، وكان من مواليد ١٩٣١م ، درس أولاً في قريته ، ثم ارتحل إلى دار العلوم بمدينة مئو ، وواصل دراسته في دار العلوم ديوبند ، وكان من تلامذة الشيخ العلامة حسين أحمد المدنى والشيخ محمد إبراهيم البلياوي ، ومن أبرز رفاقه الشيخ محمد أسلم القاسمي ، والشيخ عبد الحق الأعظمي ، والشيخ محمد برهان الدين السنبله رحمهم الله جميعاً . قضى الشيخ أنيس الرحمن القاسمي حياته في العلم والدعوة ، اشتغل أولاً بالصحافة الأردية أمثل مجلة خورشيد بيريلي ، والفاروق بياغل فور ، ثم قام بالتدريس في جامع العلوم بكانبور ودار العلوم بيسالم ناغر ، وجامعة أم سلمة بدهنبار ، ومدرسة إحياء العلوم بناته ناغر ، وكانت له علاقة بالجامعة الإسلامية وجامعة التبليغ والدعوة والمجلس الملي لعلوم الهند ، ومركز التربية الرحمنى بمونغir وغيرها من المؤسسات التعليمية والدعوية ، وكان يزور ندوة العلماء ، ويلقى مشايخها وعلماءها ، وكان يحبني كثيراً ، فألقاه بغاية من الحب والودة .

ترك وراءه أسرة من ولدين ، وخمس بنات ، وقد توفي أهله قبل ثمانين سنوات ، أما نجله الأستاذ خالد فيصل الندوبي ، فهو من أساتذة دار العلوم لندوة العلماء ، وقد كان مسؤولاً مكتبة كلية اللغة العربية وآدابها بدار العلوم لندوة العلماء من قبل ، وله عدة مؤلفات باللغة الأردية ، ونحن نقدم التعازي القلبية إلى أسرة الفقيد ، وخاصة الأستاذ خالد فيصل الندوبي ، (بارك الله في حياته وأعماله) . ندعوا الله سبحانه أن يغفر للفقيد مغفرة تامة ، ويرحمه رحمة واسعة ، ويفسح له جنات العصيم ، فإنه على كل شيء قادر وبالإجابة جدير .

Declaration of Ownership & Other Details

Form 4 Rule 8

Name of Paper	:	AL-BAAS-EL-ISLAMI
Place of Publication	:	Lucknow
Periodicity of Publication	:	Monthly
Chief Editor	:	SAEED AL-AZAMI AL-NADWI
Nationality	:	Indian
Address (U. P.)	:	AL-BAAS-EL-ISLAMI, Taigore Marg, Lucknow
Printer/Publisher	:	MOHAMMAD TAHA ATHAR
Nationality	:	Indian
Address	:	21, Adnan Palli, Near Hira Public School, Dubaggia, Post: Kakori, Lucknow

Ownership : Majlis Sahafat Wa Nashriyat, Lucknow
I, MOHAMMAD TAHA ATHAR, Printer Publisher, declare
that the above information is correct to the best of my
knowledge and belief.

MARCH 2023

R.N.I. No. (U.P.) ARA/2000/02341
Postal Regd. No. SSP/ LW-NP/64/2021 To 2023
Published on: 3rd of Every Month
Posted at R.M.S. Charbagh Lucknow-04

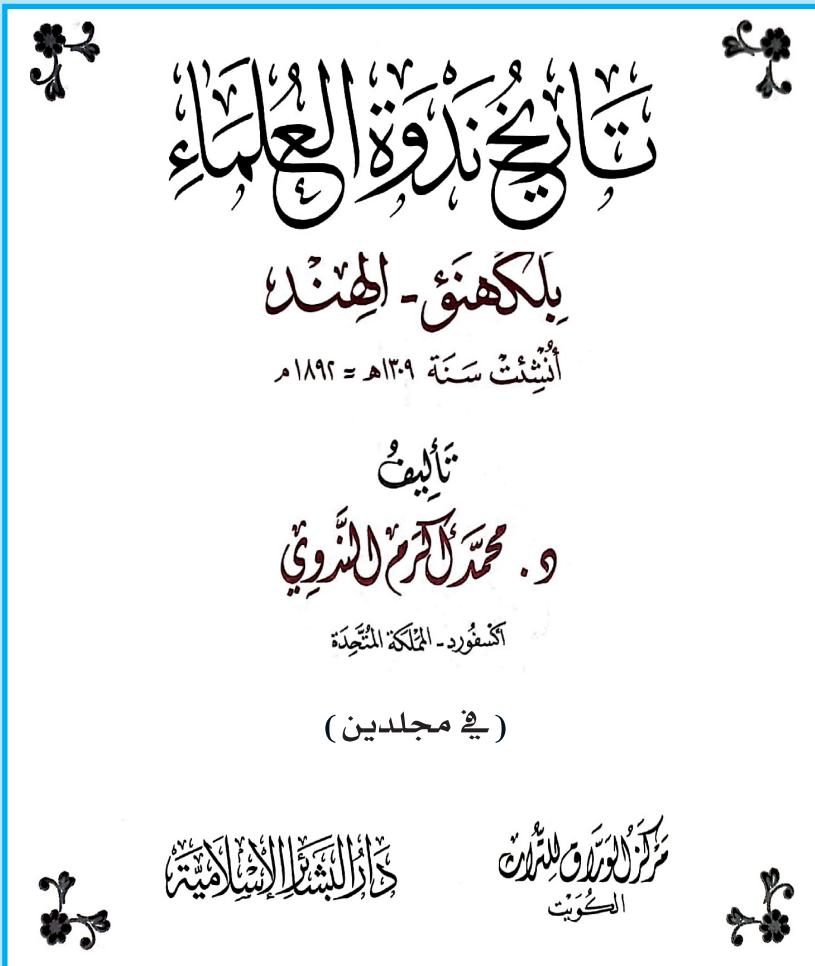
Despatch Date: 5,6,7
ISSN 2347-2456
Per Copy. Rs. 40/-
Annual Subs. Rs. 400/-

Monthly

AL-BAAS-EL-ISLAMI

Vol. No. 69 Issue. No.03, March 2023

إصدارات حديثة



Designed by Hamid, Mob:9889654027, 9918687777, E-mail:hrhamid1962@gmail.com

Printed & Published by MOHAMMAD TAHA ATHAR on behalf of Majlis-e-Sahafat-wa-Nashriyat
at Azad Printing Press, Nazirabad Lucknow. U.P.

Editor: SAEED -AL - AZAMI - AL- NADWI